16 em Année No. 785

Lundi — 19 — 7 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٨٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ رمضان سنة ١٣٦٧ — ١٩ يوليو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

قضـــية مكسوبة

للأستاذ عباس محمود العقاد

يحمل صديقنا «الأستاذ الحداد» مطارقه كلها في هذه الأيام.

ويضرب بهذه المطارق كلها على رؤوس الصهيونيين!

فتارة يتناول التلمود ويكشف عما فيه من الوصايا الخفية، وتارة أخرى يتناول المجامع العليا وما تأمر به من مؤامراتها الجهنمية، ويعرض أحياناً للماسونية التي تتخذ هيكل سليمان شعاراً لها ولا تخلو من صلة بسياسة إسرائيل، ويعرض أحياناً أخرى لدسائس القوم في العصر الحديث وهي نمط منقح من دسائسهم في كل تاريخ قديم.

وحسناً صنع الحداد.

فإنه الآن على الأقل ليضرب بمطارقه حيث تنزل مطارق الله.

وما نزلت مطارق الله على قوم كما نزلت على هؤلاء « شعبه المختار » ... فكأنهم شعبه المختار بمعنى واحـد، وهو معنى الاختيار للنقمة والعقاب.

وآخر ما قرأته له في هذه الحملة الحدادية كلامه عن كتابة التوراة العبرية في عهد موسى عليه السلام.

فهو ينفي كتابة الأسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى عليه السلام في عهده، ويستدل على ذلك بتاريخ الكتابة بين العبرانيين.

ومن المحقق أن هذه الأسفار الخمسة كتبت بعد عصر موسى عليه السلام بزمن طويل، وليس أكثر من الأدلة التاريخية القاطعة التي لا تدع لذرة من الشك موضعاً في ثبوت هذه الحقيقة؛ ولا حاجة بنا ولا بالأستاذ الحداد إلى سرد هذه الأدلة التاريخية المطولة؛ فإن نصوص الأسفار الخمسة نفسها تغنينا عن كل دليل.

إذ تروي هذه الأسفار فيما تروي نبأ ملك قديم قام في بني إسرائيل. ومعنى ذلك أن هذه الرواية كتبت بعد قيام الملك فيهم على عهد شاؤل وداود وسليمان: أي بعد موسى بثمانية أو تسعة قرون.

ومن أعجب العجب أن تنسب هذه الأسفار إلى موسى وفيها وصف موته ودفنه، ومقارنة بينه وبين التابعين له من الأنبياء.

ففي الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية: « فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب. ودفنه في الجوا في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم ».

وفي ذلك الإصحاح أنه لم يقم بعد موسى في إسرائيل نبي مثله، ومعنى ذلك أن هذا الإصحاح كتب بعد قيام أنبياء كثيرين تنعقد المقارنة بينهم وبين موسى عليه السلام.

فمن الثابت قطعاً أن هذه الأسفار العبرية كتبت بعد عصر موسى عليه السلام بعدة قرون.

ولكنني أكتب هذا المقال لأبسط فيه الرجاء إلى صديقنا

الحداد أن يرجىء حملته على هذه « المستندات » العبرية ، لأنها قد تنفعنا فى قضية مكسوبة إن شاء الله . وهذا هو خط سير القضية التى نعتمد فيها على تلك المستندات ، حتى ينكرها الصهيونيون فنكسب ، أو يعترفوا بها فنكسب ، ونحن الكاسبون على الحالتين .

* * *

فتحت محكمة العدل الدولية عن مندوب مصر يطالب عصابة إسرائيل بعشرين مليوناً من الجنيهات الذهبية .

قال القاضى لمندوب مصر : علام تستند فى دعواك ؟

قال المندوب على وثيقة لا يطعن فيها الصهيونيون !

قال القاضى : أين هى ؟

قال المندوب هى هذه ، ودفع إليه بنسخة من التوراة العبرية .

ويظهر أن الأوربيين والغربيين لا يقرأون التوراة فى هذه الأيام ؛ لأنهم لو كانوا يقرأونها لعرفوا منها تاريخ هؤلاء القوم ، وعرفوا منها أن أنبياءهم كانوا يصفونهم مرة بعد مرة بالتمرد والعصيان وغلظ الرقاب ، وأنهم ما برحوا منذ كانوا على شقاق وشغب واضطراب .

قال القاضى : وماذا فى هذه الوثيقة مما يثبت دعواك ؟

قال مندوب مصر : فى الإصحاح الثالث من سفر الخروج : « يكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين . بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين » .

قال القاضى : هذه نية . هذا شروع ، فهل تمت الجريمة .

قال مندوب مصر : نعم تمت . فقد جاء فى الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج أيضاً « إن بنى إسرائيل ارتحلوا . . . نحو ست مئة ماش من الرجال عدا الأولاد ، وصعد معهم لفيف كثير أيضاً مع غنم وبقر مواشى وافرة جداً » .

وجاء فى الإصحاح قبل ذلك « أنهم طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين » .

* * *

فسأل القاضى مندوب مصر : ولكن علام بنيتم تقديركم المبلغ المطلوب ؟

قال المندوب : ثابت يا حضرات القضاة من هذه الوثيقة أن عدد الرجال فقط من بنى إسرائيل كان ستمائة ألف رجل ، عدا النساء والأولاد ، فلا يقل عددهم جميعاً إذن عن ثلاثة ملايين .

وثابت من هذه الوثيقة أنهم كان معهم لفيف كثير .

وثابت منها أن المواشى التى أخذوها كانت كثيرة جداً .

وثابت منها أنهم أخذوا أمتعة ذهب وفضة وثياباً موشاة مما يلبس فى الأعراس .

فإذا قدرنا هذا — مع الفوائد المستحقة فى نيف وثلاثين قرناً — فليس هنالك أقل مبالغة فى تقديره بعشرين مليوناً من الجنيهات الذهبية .

فتداول القضاة قليلا فيما بينهم ثم سأل رئيسهم مندوب عصابة إسرائيل :

ما قولك فى الدين المطلوب ؟

قال المندوب الصهيونى : إنى أنكره ولا أعترف به .

قال رئيس القضاة : ولم ؟ هل تطعن فى الوثيقة ؟

قال : كلا . لا أطعن فى الوثيقة .

قال القاضى : إذن ، هل تطعن فى التقدير ؟

فالتفت المندوب إلى مستشاريه ، وتداولوا الرأى فيما بينهم ملياً ، فتبين لهم أن الطعن فى التقدير ينتهى إلى الحكم بمبلغ كثير أو قليل على كل حال . ثم عاد مندوبهم إلى الكلام وهو يقول :

إننا يا حضرات القضاة لا نطعن فى الوثيقة ولا نطعن فى التقدير ، ولكننا نطلب الحكم بسقوط الدعوى لمضى المدة .

فنظر القاضى إلى مندوب مصر سائلا :

ما جوابك على هذا الدفع ؟

قال المندوب : جوابى أن المدة التى مضت على هذا الدين المعترف به هى المدة التى مضت على حق القوم المزعوم فى ملك فلسطين . فإن سقطت الدعوى هنا سقطت الدعوى هناك .

ولم يسع القاضى إلا أن يسأل الطرفين :

أتوافقون إذن على إسقاط الدعوى جملة فى هذه الوثيقة ؟

قال مندوب إسرائيل على عادة القوم فى كل مطلب وفى

هــــذا يوم الحساب

التعويضات والغرامات على اليهود

للأستاذ نقولا الحــــداد

ينص البنـد ٩ الأخير من مقترحات برنادوت على أن

« يعترف عنصرا الاتحاد بحقوق سكان فلسطين الذين اضطرتهم ظروف القتـال إلى مغادرة بيوتهم وممتلـكاتهم فى العودة إليها دون قيد وفى استعادة كل أملاكهم »

كثر الله خيرك يا سيد برنادوت جزاء إذنك بعودة العرب المشردين من بلادهم بسبب وحشية اليهود وفظائعهم ، ومنحك إياهم حق استعادة أملاكهم ! فهل لاح فى خاطرك أن العرب ليس لهم الحق فى الرجوع إلى بيـوتهم وفى استرداد أملاكهم ولـكنك تتفضل أنت بمنحهم هذا الحق؟

هل تمنى أن تعاد لهم بيوتهم منسوفة مهدمة مدكوكة إلى الحضيض ولم يبق منها إلا أرضها مغطاة بالركام ؟ وهل تمنى أن تعود لهم بيوتهم فارغة من كل أثاث ورياش وسـجاد فاخر إلى آخره ، ومن كل مؤونة كما تركوها وكانوا قد ملئوها أغـذية حاسبين حساب الارتباك وفقدان الأطعمة من الأسواق ؟ وهل تمنى أن تعاد لهم دكاكينهم فارغة من السلع الثمينـة وغير الثمينة أو مهدمة كمنازلهم ، أو أن تعاد إليهم مرافقهم ومصانعهم وجميع أسـباب رزقهم وقد دمرت تمام الدمار ولم يبق لهم رسم دار ؟ وهـل تمنى أن تعاد لهم مدارسهم وقد خربت وجعلت مرابض للبغال والدواب ومكامن للذخائر وأوعية للأقذار — أقذار الجوييم (أى الأنجاس) ؟ وهل تمنى أن تعاد لهم معابدهم ، وقد تدنست بأدناس الصهيونيين الفحشاء ، وأرجاسهم الداعرة ، ونجاساتهم « الآرية » . وهل تمنى أن تعود لهم مزارعهم تالفـة الزراعات محصودة الغلات ، وبساتينهم مقطعة الأشجار والأغصان ومأكولة البرتقال والأثمار ؟

إن الذين غادروا بلادهم هم العرب وحدهم ، وقد هربوا من طغيان اليهود العتاة ، ففروا إلى إخوانهم العرب مستنجدين . أما اليهود فلم يغادروا مدنهم ومستعمراتهم لأن العرب لم يضطروهم إلى الهرب بأى سبب . وإلى أين يهربون وحولهم خصومهم من كل صوب ، فإلى أى جهـة فروا وجدوا أنفسهم فى (أحضان العرب الخصوم يعاملونهم معاملة الخصم الـكريم .

سمعاً يا سيد برنادوت . لم تـكن كارثة الفلسطينيين المشردين فى مغادرة ديارهم وتخريبها ونهبها فقط ، بل فى ضياع أسـباب معايشهم جميعاً وفقد أموالهم وإضاعة كسبهم ومتاجرهم فى حين أنهم كانوا عالة على إخوانهم عرب مصر وشرق الأردن وسوريا ولبنـان والعراق على الرغم من أن هؤلاء الإخوان رحبوا بهم وما استثقلوا ضيافتهم بل قدموا لهم كل إعانة كأنهم أهـل البيت ولـكن النفوس الأبية لا تحتمل طول هذه الضيافة .

لا ندرى كم من ملايين الجنيهات (لا الدولارات) خسر العرب فى هـذا التشريد فضلاً عن الأنفس الزكيـة والأرواح الثمينة التى أزهقتها فظاعات اليهود . كل هذه لم يحسب لها السيد برنادوت حساباً فى تعطفه على العرب . ولـكن العرب لا يصبرون على هذا الضيم مهما تناهوا فى كرم الأخلاق لأن ضيفهم الجنس الصهيونى ساقط الأخلاق ، معدوم الضمير ، فلا يستحق سماحاً ولا مغفرة

كل دعوى : بل تعتبر القضية قائمة فى دعوى صهيون ، وتسقط القضية فى دعوى المصريين !

يا صديق الحداد !

أنت ترى « خط سير القضية » ... وأنت رجل كيمى ورجل أديب ، ولـكنك لا تجهل أن الدعوى مكسوبة على الحالتين ، وإن ساورتك الظنون كما تساورنا فى محاكم الدول وهيئات التحكيم

فهلا رفعت من مطارقك التى تهوى بها على هؤلاء القوم مطرقة واحدة إلى حين ؟

هلا رفعت عنهم مطرقتك التى تهوى بها على « مستندهم » القديم ؟

إرفعها قليلا . وتـكون يومئذ قد صنعت بهم ما صنع الحداد

عباس محمود العقاد

لذلك كان على الدول العربية جميعاً أن تحصل حقوق العرب الفلسطينيين المادية (علاوة على الحق الوطني) من هؤلاء اليهود الطغاة الذين بلغ بهم الصلف كل مبلغ . وهذا التحصيل ليس بالصعب بل هو أسهل من السهل . أما أن نعتمد على قضاء برنادوت أو مجلس الأمن في تحصيل هذه الحقوق من يهود فلسطين أنفسهم فهو عبث ، لأن اليهود لا يدفعون حقاً من تلقاء أنفسهم .

ولكن لإخوانهم في سائر البلاد العربية أموالا وأملاكا وأسهماً وأوراقاً مالية لا تحصى . وقد استنزفوها من ثروة البلاد بلا جهد ولا عناء . وكانوا يساعدون بشيء كثير منها الصهيونيين في تل أبيب — الصهيونيون الذين صنعوا هذه الكارثة الأليمة فلا يتعذر على الدول العربية أن تحصل تلك الغرامات والتعويضات من هؤلاء اليهود الأعوان . وللدول العربية عذر وجيه جداً في أحقية هذا التحصيل . وهو أن حوادث التفتيش عن الأشخاص الخطيرين في البلاد فضحت هذا العنصر الخطير (الجويم) الذي يهيء ثورة محلية يراد بها قلب الحكم الحاضر بحيث تكون عاقبته امتداد الصهيونية إلى مصر وجميع البلاد العربية . فكل يوم يظهر من تفتيش البوليس أشخاص علكون أسلحة وقنابل ومنشورات بالعبرية والعربية تدل على أن في عزم الصهيونيين « الأبيبيين » أن يغزوا مصر حالما ينتهون من غزو فلسطين . والانفجارات التي حدثت في حارة اليهود أخيراً تدل على أن هناك معمل الشيطان الصهيوني ؛ فإن أولئك الذين نسفهم الانفجار كانوا يصنعون قنابل شديدة الانفجار جداً . فلماذا كانوا يصنعونها ؟ ولمن ؟ وعلى حساب من ؟ وقيل إنهم كانوا يرسلونها إلى تل أبيب . وأخيراً جاءهم بلاغ من هناك أن احفظوا هذه المتفجرات عندكم إلى أن نذهب إليكم لأننا ذاهبون .

وكلنا يعلم أن بعضاً من الأشخاص الذين قبض عليهم كخطرين ووجدت عندهم متفجرات هم كبار أغنياء إسرائيل والقابضون على أعنة مالية البلاد . فكل هذه الأمور تبرر للحكومة المصرية وكل حكومة عربية أن تصادر أموال كل صهيوني ثبتت عليه شبهة الخطر ، وأن تفرض ضريبة ثقيلة على كل صهيوني غيره استرداداً لما كان يرسله من المال إلى تل أبيب سراً لإعانة الصهيونية .

فإذا جرت الحكومة على هذه الخطة أمكنها أن تجمع التعويض اللازم للعرب الفلسطينيين ، والغرامة التي هي جزاء فظاعات الصهيونيين . وليس في الشرائع الدنية أو الإلهية ما يمنع هذا الإجراء ، فهو حق وأقل من الحق . فعسى أن تفكر الحكومة في هذا الموضوع ، فهو جدير بأن يأخذ من اهتمامها كل مأخذ .

لا بد أن تنتهي الثورة الفلسطينية بالنصر إن شاء الله . فإذا رغبت الحكومات العربية أن تسترد خسائر العرب وتغرم الصهيونيين الغرامة اللازمة لثورتهم فلا تجد وسيلة لتحصيل هذه التعويضات والغرامات غير هذه الوسيلة ؛ فيحسن بها جميعاً أن تشرع في هذا العمل توا ...

نقولا الحداد

من أهداف الصهيونية

للأستاذ محمد أسامة علية

أنشأ الحركة الصهيونية فى لندن سنة ١٨٩٦ الدكتور هرتزل اليهودى النمساوى ، واشتهرت باسم الصهيونية لأن أبرز من سعى إليها هى (جمعية صهيون) فى النمسا ، وهى جمعية تسمت باسم جبل فى صحراء سينا عسكر فيه بنو إسرائيل لإقامة الصلاة بعد نجاتهم من فرعون .

وقد دخل بالتبشير بدينهم كثير من أمم شتى كالسيفرديم الذين انحدروا من سلالة الإسبانيين والبرتغاليين ، والإشكينازيم وهم يهود روسيا والنمسا وألمانيا والمجر ، والمنفصلون وهم من آباء رومانيين وأمهات من يهود ..

ولهم فى الحركات السرية أعظم يد ، ومن أبرزها (الماسونية)

وقد عقدت الجمعيات الصهيونية فى (بال) فى سويسرة مؤتمراً سنة ١٨٩٧ وضعت فيه أسس نظام فتوحاتها فى المستقبل على ضوء ما نجحت فيه من خططها ، فكتبوا ٢٤ محضراً تضمنت جماع الخطة والهدف الذى يبلغ باليهود إلى السيطرة على العالم معتمدة على المال والمؤامرات والاغتيالات والدعايات وبث القلق والاضطرابات خلقياً وعملياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، واحتضن ذلك قادة الحركة الصهيونية المعروفون بحكماء صهيون ، وهم القائمون بإدارة السياسة اليهودية ، العابثون بسياسة العالم تمهيداً لعودة ملكهم .

وذاعت هذه المحاضر وكان من شدة وقع ذلك أن استيقظ العالم الغربى النصرانى لما تبيته له الصهيونية من سهام مسمومة . وأول من وصل إلى هذه المحاضر هو اليكس نيقولا نيفتش عميد اشراف شرق روسيا ، فسلمها إلى سرج نيلوس وطلب إليه الاستفادة منها بما يحمى مصالح الوطن وعقائد أبنائه ، فنشر كتابه عنها سنة ١٩١٩ فارتاع الصهيونيون لذيوعها وشكا هرزل رئيسهم من اطلاع (الكفار) على أسرار هذه المحاضر ، وقد حاولوا إنكارها ، وحذر آخرون من أغراضها ، وهذا مما يثبت أن اعتماد اليهود على الجمعيات والدعوات السرية كاعتمادهم على المال والرشوة واستخدام الوسائل الإرهابية فى سبيل مطمعهم بالسيادة العالمية .

موجز المحضر الأول :

القوة الوحشية الغاشمة هى وحدها التى أخضعت الوحوش الضارية التى تدعى بشراً ، ثم خلفها القانون وهو نفس القوة ، إلا أنها مقنعة . فالحق كائن فى القوة . والذهب فى عصرنا أعظم نفوذاً من الحكومات . والصفات السامية كالصدق والنزاهة هى عيوب ونقائص لا تصلح لنا هدفاً ، وإنما القوة هدفنا ، ويجب أن نتسلح بها للانقضاض على الأنظمة والشرائع وقلبها رأساً على عقب . وبسبب ضعف جميع السلطات فى الوقت الحاضر يدوم سلطاننا لأنه مشيد على أسس متينة لا يمكن أن تنال منها الخدع والدسائس وقوة الشعب عمياء لا شعور لها وتنقاد إلى جميع الجهات ولا تقوم للمدنية قائمة إلا إذا قام فيها الحكم المطلق حكم الفرد . وعمالنا من معلمين وخدم ومربيات فى دور الأغنياء ومستخدمونا فى كل مكان ، ونساؤنا فى قاعات الملاهى يسوقون الشعوب إلى مهاوى الانحلال الخلقى الذى يمهد لنا الوصول إلى أهدافنا . ويجب أن نتخذ العنف مبدأ والمكر والرياء قاعدة . ويجب أن لا نحجم عن الالتجاء إلى الرشوة والخداع والخيانة فى سبيل بلوغ مآربنا . وينبغى الإقدام على اغتصاب ملك غيرنا إذا كان فى ذلك ما يحقق سلطاننا . والقسوة التى لا تعرف اللين هى أول عامل فى قوى دولتنا ، وبها سنخضع جميع الحكومات لحكومتنا العليا .

موجز المحضر الثانى :

من مصلحة اليهود نقل الحروب إلى الميدان الاقتصادى لترى الأمم عظيم تفوقنا فى هذا المضمار فيضطر الفريقان المتحاربان أن يكونا فى يد عملائنا الدوليين ، فنقبض على توجيه الشعوب إلى حيث أردنا . ولكى لا نقع فى أخطاء سياسية وإدارية يجب أن لا تفوتنا العناية بآراء الشعوب وأخلاقها وميولها العصرية ، مع المقايسة بين نتائج الماضى والحاضر .

وللصحافة قوتها التى لا تنكر ، ولكن الدول لم تحسن الاستفادة من هذه القوة فوقعت فى أيدينا ، وقد استطعنا بواسطتها أن نحرز جانباً مدهشاً من النفوذ وأن نجمع الذهب الوهاج فى قبضتنا .

موجز المحضر الثالث :

يجب أن نصل إلى فصل قوة رجال الحكم البصيرة عن قوة الشعب العمياء لتفقد القوتان أثرهما ، وتصبحا عاجزتين كعجز الأعمى الذى يفقد عصاه . ولكى ندفع ذوى المطامع إلى إساءة استعمال السلطة وضعنا جميع القوى المتعارضة وجهاً لوجه وقوينا ميولها الحرة إلى الاستقلال ، وشجعنا كل مشروع يؤدى إلى هذا الغرض. وحولنا الممالك إلى ميادين للهرج والمرج . ومتى آن الأوان لأن نخلق بفضل وسائلنا السرية وذهبنا النضار ضائقة اقتصادية عامة ، نقذف فى نفس الوقت بجموع العمال الفقيرة إلى الشوارع فى جميع البلدان الأوربية ، فتقدم هذه الجماهير بلذة على قتل من هم فى نظرها الساذج موضع حسدها وغيرتها وعلى نهب أموالهم ، ولكنها لا تمس أتباعنا بسوء لعلمنا بساعة الهجوم ولاتخاذنا الحيطة المحافظة على بنى قومنا وإذا عدتم بالذكرى إلى الثورة الفرنسية وجدتم أن سر إعدادها لم يكن يخفى علينا لأنها كانت كلها من صنع أيدينا . ونحن الآن كقوة دولية فى وضع منيع بحيث إذا هوجمنا فى دولة دافعت عنا الدولة الأخرى .

موجز المحضر الرابع :

يجب علينا أن نهدم الإيمان ، وأن ننزع من النفوس المبادئ الإلهية والروحية ، وأن نغرس بدلها حب الحسابات والحاجات المادية ، وأن نشغل الناس بالأعمال التجارية والصناعية لتتجه الأفكار والمساعى إلى تحقيق المنافع الخاصة ، فلا يشعرون بفتن عدوهم العام . ولتفكيك أوصال الجماعات المسيحية وتدميرها يجب أن تتخذ المضاربات قاعدة للصناعة فتخرج جميع الثروات التى تنتجها الصناعة وغيرها من حوزة أربابها إلى فوهة المضاربات فتبتلعها . وما هذه الفوهة إلا خزائننا .

موجز المحضر الخامس :

سيادة الاتحاد المسيحى علينا لا تطول مدتها لأننا بذرنا أصول الشقاق فى كل مكان وأوجدنا التنافر بين مصالح المسيحيين المادية والوطنية ، وأثرنا النعرات الدينية والعنصرية فى بيئاتهم ، وعلى كل حال لا تستطيع الدول اليوم عقد أى اتفاق مهما ضؤل شأنه بدون استطلاع رأينا وموافقتنا . يقول أنبياؤنا إن الله اصطفانا لنسود العالم ووهبنا النبوغ لتكلل أعمالنا بالنجاح .

ولو كان لغيرنا مثل هذا لاستطاع مقاومتنا ، ولكن القادم الجديد لا يساوى الساكن القديم . وسيكون القتال بيننا عنيفاً جداً بلا رحمة ولا شفقة مما لم يشهد العالم مثله . أما أدعياء العبقرية فسيصلون متأخرين لأن المحرك الذى يدير الجهاز الحكومى غداً فى قبضتنا ، وما المحرك سوى الذهب ، وحكماؤنا الذين وضعوا علم الاقتصاد السياسى عرفونا تأثير الذهب العجيب فى العالم . وهذا الذهب يجب أن يجمع الصناعة والتجارة فى احتكاره ، وهذا ما نحن ساعون إلى تحقيقه بواسطة أيد خفية لها اتصال بجميع أنحاء العالم . ومما يجب أن نمنى به فى حكومتنا المتيدة إضعاف الرأى العام بوسائل النقد والتقريع المر ، مع الاستمرار على هذا إلى أن تضمحل عادة التفكير، لأن التفكير يولد المعارضة. ويجب كذلك أن نشغل القوى العقلية بمناوشات خطابية عقيمة . والطريقة المثلى للاستيلاء على الرأى العام تنحصر فى العمل على أفلاقه بأن يغمر بفيض من الآراء المتناقضة تأتيه من كل جانب باستمرار ، فينتهى الأمر بضلال المسيحيين وغيرهم . ويجب أن نتخذ ما يجب لبلبلة الآراء واختلاف مسالك تربية النشء ليكون فى كل أسرة اتجاهات متناقضة بحيث لا يستطيع الواحد فهم مراد الآخر ، وبحيث لا يقوى كائن من كان على إعادة المياه إلى مجاريها ، ومن تأثير هذه الطريقة وقوع الشقاق بين الأحزاب ، وتفرق القوى المتجمعة ضدنا . أما ما يتعلق بثقافة البيئات المسيحية فعلينا أن نقبض على إدارتها بيد من حديد ، ونتصرف فى شؤونها بما يضمن وصولنا إلى أهدافنا .

موجز المحضر السادس :

سننشئ مؤسسات للاحتكار تكون كخزائن للثروات الضخمة ، ويكون لماليات المسيحيين الكبرى وللاعتمادات المالية للدول أوثق علاقة بها ليسهل ابتلاعها فى غد أول نكبة سياسية ولما كانت الاستقراطية المسيحية من حيث هى قوة سياسية قد اضمحلت فقد بقيت أملاكها العقارية ، فهى تستطيع ما دامت مواردها حرة أن تعرقل أهدافنا ، فلابد إذن من الاستيلاء على هذه الأملاك وحرمانها منها ، وأنجع طريقة لذلك هى زيادة الضرائب . وللقضاء على صناعة غيرنا يجب تنشيط المضاربة واستثارة شهوة البذخ والترف ، تلك الشهوة التى تلتهم الأموال بأقرب وقت . ثم نزيد أجور العمال ، ولكنها زيادة لا ينتفعون

منها ، لأننا قد اتخذنا الحيطة لذلك برفع أثمان الحاجات الضرورية . ثم ندير مماولنا شطر الإنتاج لهدم أسسه ، متوسلين ببعض الوسائل التي تمكننا من تمويد العمال الشغف بالمسكرات وخلق الفوضى . ولكيلا تنكشف حقيقة أغراضنا قبل الأوان يجب نتظاهر بالغيرة على خدمة طبقات العمال ، وبنشر المبادىء الاقتصادية .

موجز المحضر السابع :

إثارة الفتن والشغب والشقاق والبغضاء في جميع البلاد ستكون داعية إلى الاعتراف بقدرتنا على بث روح الاضطراب أنى شئنا ونشر أعلام النظام حيث أردنا . ودسائسنا المعتمدة على سياسة العقود الاقتصادية والمالية تزيد في تعقيد الشرك الذي نكون قد نصبناه في دوائر الدول . وأما في الشؤون التي تدخل في نطاق ما يسمونه « اللغة الرسمية » فنتخذ خطة معارضة تظاهرنا بمظهر أهل الصلاح والإصلاح . وإزاء كل معارضة تثار ضدنا نكون على استعداد لدفع البلاد المجاورة إلى إثارة الحرب على من يجرؤ على معاكستنا ، وإذا ما خطر لهذه البلاد نفسها أن تتحد مع عدونا عمدنا إلى دحرها بإعلان حرب عامة ، وعمدتنا في هذه السبيل هو الرأي العام الذي وضعته « السلطة العظمى » سلطة الصحافة في أيدينا . وهدفنا هو إظهار قوتنا للحكومات تارة بوسيلة التعديات الجنائية وطوراً بواسطة المدافع الأمريكية والصينية واليابانية .

موجز المحضر الثامن :

من الواجب أن يحاط نظام حكمنا بجميع قوى الحضارة من كتاب سياسيين وشراع محنكين وإداريين وغيرهم من أهل التخصص في العلوم العليا للوصول إلى أغراضنا . ولما كانت العلوم الاقتصادية لها شأن كبير وجب أن نمنى بتعليمها لليهود ، ويجب أن يكون حولنا جماعات من الصيارفة وأرباب الصناعات والرأسماليين ، ولا سيما أصحاب الملايين لأن الحكم في النتيجة سيكون للأرقام .

موجز المحضر التاسع :

حكومتنا العليا وإن لم يكن لها صفة شرعية اليوم ، لكن القضاء أصبح الآن في أيدينا نضع الشرائع ونصدر الأحكام ، ولنا سلطة القائد العام ، بل نحن نمارس الحكم بيد من حديد . ونحن مصدر الإرهاب المنتشر في كل صقع ، وفي خدمتنا رجال ينتمون إلى مختلف العقائد والمبادىء من ملكيين وجمهوريين واشتراكيين وشيوعيين ، ومن جميع أنواع الخياليين ، يعملون في سبيل مصلحتنا ، وجميع الدول تعاني المشقات والأهوال من جراء هذه الحال ، وتسعى جهدها لاقرار السكينة وتبذل ما وسعها البذل في سبيل السلام . وأما نحن فلا نمتعها بالراحة والسلام ما لم تعترف بحكومتنا العليا ، وانقسام الشعوب إلى أحزاب دفعها بجملتها إلى أحضاننا ، لأن النضال الحزبي لا يقوم إلا على المال وهو في قبضتنا . والذي كنا نخشاه هو قيام الألفة بين قوى الطبقة الحاكمة المثقفة وقوى الشعب الناقمة ؛ ولكننا احتطنا لذلك فأقمنا جداراً وحالة ذعر بين الفريقين .

موجز المحضر العاشر :

يجب أن نقاوم النزعة إلى البروز الشخصي بدفع الشعب إلى مكافحة من يطوح به الغرور إلى إشهار نفسه بالفعل والكلام ، والشعب لا ينقاد لسوانا ما دمنا نكافئه على طاعته ويقظته . ويجب أن تكون خططنا سديدة ، ولذلك لا نسمح بعرضها على جماعة يتناقشون فيها كالمجالس التشريعية فتخرج منها وفي طياتها آثار جميع الآراء الخاطئة . ويجب أن نتوصل إلى جعل الحكومات كلها تحت سيطرتنا لإلغاء جميع الدساتير القائمة ، ومما يجب التوسل به لبلوغ هذه الأهداف إثارة الشقاق والعداء والبغضاء بين الشعب والحكومة ، وخلق المجاعات وبث جراثيم الأمراض وتعميم البؤس في كل مكان .

موجز المحضر الحادي عشر :

يجب أن نطرح من قاموس البشرية : حرية الصحافة وحرية الضمير ومبدأ الانتخاب لنستطيع بسط سلطاننا المعصوم الذي لا يرجع إلى صواب ولا يعترف بخطأ . ويجب أن نقمع كل حركة تثار ضد هدفنا هذا : والله قضى علينا نحن شعبه المختار بالتشتيت الذي سبب ضعفنا ، ولكن هذا الضعف هو الذي ولد هذه القوة التي قادتنا إلى أبواب السيادة المالية .

موجز المحضر الثاني عشر :

للحرية عند الناس معان شتى ، فيجب علينا أن نحصرها

ونحدها بقولنا : هى حق التصرف بما يجيزه القانون . وفى وسع القانون أن يبدع أو ينقض كل ما من شـأنه أن يغاير روح ربابحنا وأغراضنا : وأما الصحافة فيجب أن نكبح جماحها ونجعل منها مورداً لدولتنا فنسن الضرائب الصحفية ، ونفرض ضمانا ماليا على كل صحيفة أو مطبعة ، ثم نفرض غرامات نقدية باهظة على المخالفات فنأمن شر الحملات الصحفية .

موجز المحضر الثالث عشر :

سعينا إلى اقتناص الرأى العام يمهد السبيل لاتمام أغراضنا ، ولكى نحول أنظار الذين تهمهم السياسة إلى نواح أخرى ، يجب أن نثير البحث فى شؤون جديدة كالشؤون الصناعية وندعهم يتحمسون ويغضبون ما طاب لهم ذلك . ونقترح لشغل الشعب عن شؤونه المهمة فتح أبواب الملاهى والألعاب ونقيم لها دوراً حافلة . كما يجب أن نشوق الأفكار إلى ابتداع أنواع النظريات الخيالية .

موجز المحضر الرابع عشر :

يجب أن لا نعترف بغير ديننا لأننا الشعب المختار ، فيتحتم علينا أن نهدم جميع المذاهب الدينية ، وأحيام الديانة الموسوية التى تستقر فيها القوى التهذيبية والأخلاقية ، وسيتولى فلاسفتنا نقض العقائد المسيحية وغيرها ، وقد نشرنا فى البلاد التى يدعونها متقدمة أدبا إباحيا قذراً وسنواظب على دعمه .

موجز المحضر الخامس عشر :

يجب أن تكون سلطتنا قائمة على الإرهاب الذى سيرفعها إلى مرتبة المصطفين من لدن العزة الإلهية على نمط الأوتوقراطية الروسية عدوتنا اللدود فى هذا العالم هى والبابوية معاً . اذكروا مثل إيطاليا الدامية التى أغرقها (سيلا) (١) بالدماء ، وأذاق الشعب الموت الأحمر ، فأكبر الشعب فيه البسالة فمنحه مزايا العصمة والحصانة . وإلى أن نرتقى سدة الحكم يجب أن نضاعف عدد المحافل الماسونية فى العالم ، ونتخذها مقراً للاستخبارات ووسيلة لتسيير أعمالنا ، ويكون من أعضاء هذه المحافل جميع رجال الشرطة لأن لهم شأنا خطيراً لاستطاعتهم كبح جماح من

(١) هو دكتاتور رومانى ولد عام ١٣٦ ق . م سيطر على روما ثم على جميع إيطاليا ، وأمر بقتل خصومه بلا محاكمة .

يعن له التمرد علينا ، وفى وسعها أن تستر أعمالنا . وكل من سعى فى عرقلة أعمالنا حل اغتياله . ولا يجوز فى قضائنا استئناف الأحكام لـكيلا يفهم الشعب خطأ أحكامنا . وإذا وضع ملك إسرائيل التاج الذى تقدمه إليه الممالك الأوربية وغيرها على هامته المقدسة أصبح أبا للعالم أجمع .

موجز المحضر السادس عشر :

الجامعات العلمية القائمة الآن هى قوة مجتمعة متضامنة ، فيجب تقويضها وتشييد غيرها على أن تحيا بروح جديدة ، ويعد لها فى الخفاء رؤساء وأساتذة يزودون بمناهج مفصلة للتمهيد لأغراضنا ، ويجب أن نطوى من المناهج مادة الحقوق الدنيـة وكل ما له صلة بالشؤون السياسية ، ولا تعلم هذه العلوم إلا لبضعة عشر طالبا يختارون من ذوى المواهب ، ثم يكونون تحت أمرتنا

موجز المحضر السابع عشر :

نقابات المحامين توجه مجهوداً دائما إلى صالح الدفاع ، فيجب وضعها ضمن إطار ليتسنى جعل أعضائها عمالا للتنفيذ . وقد وجهنا جهودنا إلى إفساد رسالة الأكليريكية المسيحية التى تؤخر وصولنا إلى بعض أهدافنا فأخذ نفوذها يتداعى فى نفوس الأمم ، وعما قريب ستموت الديانة المسيحية ، ثم تموت الأديان الأخرى نتيجة لمساعينا . ومتى حان الوقت لهدم الصرح البابوى جعلنا ملك اليهود البابا الصحيح للعالم والبطريرك الوحيد للكنيسة العالمية

وسيكون قدوتنا فى الحكم (فنشو) (١) فتقبض كل يد من الأيدى المائة التى تمتلكها على لولب من لوالب الجهاز الاجتماعى فنستطيع الاطلاع على ما نريد بلا مساعدة من الشرطة الرسمية ، والجاسوسية والوشاية لا يعدان من الأمور المشينة بل من الواجبات لنبلغ ما نريد بعونهما .

موجز المحضر الثامن عشر :

حينما نحتاج إلى تعزيز قوى الشرطة ، نلجأ إلى افتعال الاضطراب والمظاهرات وإعلان سخط الشعب بلسان أشهر الخطباء ، وحينئذ نتخذ من هذا ذريعة لإصدار الأوامر بمضاعفة المراقبة . والحكام القائمون الآن سنضطرهم إلى الإقرار بعجزهم عن حماية أنفسهم فيتخذون الحيطة لحماية أنفسهم جهاراً فنقضى

(١) هو الأقنوم الثانى من الثالوث الهندى ، وهو حافظ الكونة .

بذلك على نفوذ السلطة . وأما حكومتنا فيتولى المحافظة عليها حرس خفي لأننا لا نقبل أن نسلم بوجود أعداء لا تقوى الحكومة على إخضاعهم . ويجب أن يظهر حاكمنا بمظهر من لا يستخدم السلطة لمنافعه الشخصية ، فالتجمل بمثل ذلك يرفعه في نظر الشعب

موجز المحضر التاسع عشر :

من الواجب علينا أن نشوق الشعب إلى رفع الشكاوى والاقتراحات إلى الحكومة لتحسين حاله ، فيتسنى لنا بذلك الاطلاع على نقائص الشعب وأهوائه . ولكي يقلع الشعب عن تكريم الباسلين في مضمار الجرائم السياسية نعامل المجرمين السياسيين كمعاملة اللصوص والقاتلين فينظر الشعب إلى هؤلاء وأولئك نظرة الاحتقار والاستنصار .

موجز المحضر العشرين :

خلاصة أعمالنا ستتحول إلى قضية أرقام ، فيتمتع الملك في حكومتنا بحق شرعي على الأملاك والأموال الخاصة بالشعب ، فله حق المصادرة للمال اللازم لتسوية نظام التداول النقدي في البلاد ، ولما كان جميع أموال الدولة ملكاً للجالس على العرش وجب أن لا يكون له ملك خاص لأنه لا يحق لمن يمتلك أموالاً خاصة أن يتمتع بملك الجميع . ولقد أحدثنا أزمات اقتصادية في البيئات المسيحية بقصد سحب النقود من التداول فاضطرت الحكومات إلى الرأسماليين تقترض منهم فصارت أسيرة لديهم ، وهؤلاء الرأسماليون بوضعهم أيديهم على الصناعات الكبرى قضوا على الصناعات الصغرى فأضعفوا الشعب والدولة معاً .

والذهب بسبب سحبنا أكثر من التداول أصبح لا يكفي حاجات الناس ، فيجب إصدار نقد من الورق أو الخشب حسب حاجة الشعب وزيادة عدده . والقرض الخارجي دليل على ضعف الدولة وعجزها ، فالقروض كسيف (داموقليس) مصلت دائماً أبداً فوق رؤوس الحكام الذين يعجزون عن سد حاجات الدولة فيسرعون إلى التماس الصدقة من صيارفنا .

موجز المحضر الحادي والعشرين :

دولتنا لا تحتاج إلى الخارج . وما فعلناه مع الدول من قرضها الأموال ثم استردادها مضاعفة لن يستطيع أحد أن يفعله معنا . بل سنلجأ عند الضرورة إلى القرض الداخلي ، وفي غد الاكتتاب لهذا القرض نصعد الأسعار صعوداً مصطنعاً ليتوهم الناس كثرة الإقبال على الشراء ، ثم نعلن أن صناديق الخزانة العامة قد امتلأت . وسنبطل نظام البورصات المالية ضناً بكرامة سلطتنا في أن نتعرض للنيل منها بسبب تقلبات أسعار السندات الحكومية ، ونقيم بدلها مؤسسات كبرى للصدافة يكون عملها تحديد أثمان الأسهم التجارية بمقتضى نظرية الحكومة ويكون باستطاعتها أن تطرح في الأسواق يومياً من الأسهم التجارية ما قيمته خمسمائة مليون .

موجز المحضر الثاني والعشرين :

في حوزتنا أعظم قوة حديثة في العالم : هي الذهب ، ونستطيع في كل ساعة أن نخرج منه المقدار الذي يكفي لذهول العالم ، فهل نحتاج بعد هذا إلى دليل في أن حكومتنا مختارة من لدن الله وممدة منذ الأزل للحكم . وحكمنا سيؤسس على دعائم قوية ثابتة مستقلا في إدارته لا ينقاد إلى الخطباء الخياليين الذين يكثرون من الكلام التافه وينادون بالمبادئ السامية الوهمية

موجز المحضر الثالث والعشرين :

الشعب لا يخضع خضوعاً أعمى إلا ليد حديدية مستقلة ندرأ شر النوازل الاجتماعية ، وليس من هم الشعب أن يرى على رأس الحكم ملكاً بروح الملائكة بل هو يرهب الملك ذا السطوة والقوة والصولة . وعلى الملك أن يخمد اللهب بقتل كل مذنب ينتمي إلى الجمعيات السرية الثورية ولو اقتضى ذلك إلى فيضان الدماء . وهذا الشخص المصطفى من لدن الله هو الذي توكل إليه العزة الإلهية أمر سحق القوات التي تستفزها الغريزة البهيمية تدعى الحرية والحقوق الإنسانية ؛ ثم نقول للشعوب بعد محق هذه القوى : احمدوا الله العلي واحنوا رؤوسكم لمن يتسم بسمة الأصفياء الذين اصطفاهم الرب لينقذكم هو وحده من براثن القوى الوحشية ومن جميع الشرور .

موجز المحضر الرابع والعشرين :

ملوكنا نختارهم لجنة مؤلفة من أعضاء يمتون إلى النبي داود لا على أساس حق الوراثة ، بل على أساس الصفات الممتازة والكفاية ويلقنونهم أسرار السياسة الخفية ، ويطلعونهم على خطط الحكومة على أن يكتموا كل ذلك . وعلى ملكنا عماد البشر وسيد العالم أن يترفع عن اللذات الجسدية .

محمد أسامة عليبة

لخصت ما تقدم من كتاب أهداف الصهيونية تعريب فردريك زريق

مصطفى البكري الصديقي [١]

الدمشقي المقدسي الحنفي الرحالة

(١٠٩٩ هـ — ١١٦٢ هـ ١٦٨٧ م — ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمـــد سامح الخالدي

هذه شخصية من رجال القرن الثاني عشر الهجري ، نشأت في دمشق ، وترعرعت في بيت المقدس وانتهى بها المطاف إلى مصر ، وقد تركت لنا عدداً من الرحلات في الديار القدسـية ، وسوريا ، والأناضول ومصر والحجاز . ومع أن هذه الرحلات ليست شيقة ، ومع أن أسلوبها يمثل أسلوب القرن الثاني عشر الركيك ، وبالرغم من انصراف صاحبها إلى الوعظ والإرشـاد عن طريق التصوف ، شأن حملة العلم من رجال ذلك القرن ، إلا أنها تلق نوراً على كثير من الحوادث ، وتصف لنا حالة البلاد التي زارها في ذلك العهد المظلم . ونرجو أن نتمكن من تلخيص بعض هذه الرحلات للقراء الـكرام . وقد سبق أن نشرنا رحلتين قام بهما صاحب الترجمة من دمشق إلى القدس وبالعـكس في كتاب رحلات إلى ديار الشـام ، وذلك في سنة ١١٢٢ هـ و ١١٢٦ هـ . وقد كتب ونظم الشيء الـكثير . ويقول السيد حسن بن عبد اللطيف الحسيني المقدسي في كتابه [أعيان القدس في القرن الثاني عشر] إن مؤلفاته زادت على المئة . ويروى لنا المرادي في درره أن كلمته ظهرت في أرض الـكنانة ، وأن تلامذته ومريديه لما بلغوا مئة ألف أمر بعدم كتابة أسمائهم ، وقال هذا شيء لا يدخل تحت عدد !

وهو ابن كمال الدين بن علي بن كمال الدين عبد القادر محيي الدين الدمشقي البكري الأستاذ الـكبير والعارف الرباني ترجمه المرادي وأفرد له عشر صفحات [١] ونعته « بأحد أفراد الزمان وصناديد الأجلاء من العلماء الأعلام والأولياء العظام العالم العلامة الأوحد أبرّ العارف قطب الدين صاحب العوارف والمعارف والتآليف والتحريرات والآثار التي اشتهرت شرقاً وغرباً ، وبُعد صيتها في الناس محجاً وعرباً » . كما ترجم له السيد حسن بن عبد اللطيف الحسيني في كتابه « أعيان القدس في القرن الثاني عشر [٢] »

ولد بدمشق سنة ١٠٩٩ هـ وتوفي والده وكان عمره سـتة أشهر ، فنشـأ يتيماً في حجر ابن عمه ، واشتغل بطلب العلم على شيوخ الشام وأجاز له محمد بن محمد البديري الدمياطي [٣] ولازم الشيخ عبد الغني النابلسي [٤] وأخذ الطريقة الخلوتيـة [٥] ثم سكن بعد ذلك إيوان المدرسة الباذرائية [٦] وأخذ يدرس فيها فكثر طلابه ومريدوه .

وقام في سـنة (١١٢٢ هـ ١٧١٠ م) برحلته الأولى من دمشق إلى القدس ، وهي تشبه كثيراً رحلة أستاذه الشيخ عبد الغني النابلسي التي قام بهـا (١١٠١ هـ ١٦٨٩ م) وقد وصف فيها لنا الطريق ، وما مرّ عليه من القرى والدساكر ، وحالة الأمن ومرافقته الركب والنفرية ، وخان عيون التجار الذي بناه سنان باشا ، وهو خراب الآن يقع بالقرب من قرية شخبرة ، ثم مدينة جنين لاحنين المحصنة ، ثم تعرض اللصوص للركب ، ثم طواحين وادي نابلس وكانت تسـير على المياه وهي خراب الآن ، ثم القدس ، والحرم القدسي ، وباقي المزارات ، واجتمع وهو يدور مقام الإمام علي بن عليل العمري على ساحل البحر شمالي

---

(١) مؤلف الخمرة المحسية في الرحلة القدسية ، والخطرة الثانية الانسية للروضة القدسية ، والرحلة الحلبية ، والنحلة النصرية في الرحلة المصرية ، والحلة الحقيقية لا المجازية في الرحلة الحجازية ، والاحسان في الرحلة الى جبل لبنان ، والرحلة الحجازية الثانيـة ، والقدوم لديار الروم . الخ الخ

(١) ص ١٩٠ ج ٢ سلك الدرر .

(٢) مخطوط في حوزة كاتب المقال .

(٣) جد عائلة البديري ببيت المقدس .

(٤) ولد بدمشق ١٠٥٠ هـ وتوفي ١١٤٣ صاحب الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية ، طبعنا خلاصتها في كتابنا رحلات إلى ديار الشام .

(٥) أسسها عمر الخلوتي من قيصرية في بر الأناضول (آسيا الصغرى) سنة ٨٠٠ هـ كما جاء في الذكر الجلي . كانت في أوائل القرن التاسع معروفة بالقدس وقد فقد ذكرها من المستندات منذ قرنين .

(٦) أسس هذه المدرسة بدمشق العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله أبي الوفاء بن محمد بن عبد الله بن عثمان الباذرائي البغدادي ، ولد سنة ٥٩٤ هـ وتوفي سنة ٦٥٥ هـ . وقد بنيت هذه المدرسة مكان دار الأمير أسامة بن المنقذ صاحب قلعة شيزر .

مدينة يافا بالشيخ الإمام نجم الدين بن خير الدين الرملي (١) وكان نجم الدين مفتى مدينة الرملة حينذاك فدرس عليه الموطأ للامام مالك . وقد جيء للشيخ بزنبق برّى طيب الرائحة فقال إن والدى أى خير الدين قال فيه :

وزنبقة قد أشبهت كأس فضة رأس قضيب من زمردة عجب
سداسى شكل كل زاوية له على رأسها الأعلى هلال من الذهب

وعاد بعد ذلك إلى دمشق ، ومنها إلى حلب (٢) ثم بغداد وانتقل سائحاً فى البلاد الشامية ، ثم دخل القدس ثانية سنة ١١٢٦ . وكتاب رحلته الثانية ، كما ألف كتابه ورد السحر المعروف [بالفتح القدسى والكشف الأنسى] وعمر بالقدس الخلوة التحتانية (٣) وكانت تقام بها الأذكار ، ولها تعيين من خبز وأكل على تكية السلطان (٤) لمن أقام بها . وتزوج فى القدس ؛ وأرخ بعض رفاقه زواجه بقوله [زفت الزهراء للقمر] .

وقدم من جهة دمشق والى مصر لزيارة القدس وهو الوزير رجب باشا ، فزار صاحب الترجمة وصار له فيه اعتقاد ، واصطحبه معه إلى مصر ، فدخل مصر وأقام بها مدة ، وأخذ عنه العلم والطريقة خلق كثير من أجلهم النجم محمد بن سالم الحفنى . ثم زار السيد البدوى ، ومن هناك إلى دمياط وأقام فى جامع البحر وأخذ عن علامتها محمد البديرى وأجازه أجازة عامة . ثم رجع إلى بلدة بيت المقدس عن طريق البحر وأقام فيها إلى سنة ١١٣٥ هـ . وتوجه إلى طرابلس الشام عن طريق البر ومنها إلى حمص وحماه ، ونزل في بيت يسن القادرى الكيلانى شيخ السجادة القادرية وأخذ عنه الطريقة القادرية (١) ومنها إلى حلب وكان واليها الوزير رجب باشا المتقدم ذكره وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ أحمد خطيب الخسروية الشهير بالبنى . ثم توجه إلى دار السلطنة العلية قسطنطينة عن طريق البر ونزل فى مدرسة سورتى مدة إقامته فيها ، وكان يتنقل بين المدارس ، ويعكف على التأليف والإرشاد ، وكلما سكن فى جهة وشاع خبره يقصده الناس فيرتحل إلى غيرها . وفى سنة ١١٣٦ هـ رجع عن طريق البر إلى حلب ونزل فى الخسروية ثم توجه إلى بغداد ونزل فى القادرية . وجاءه كتاب من شيخه عبد الغنى النابلسى يحثه على العودة إلى الشام لأجل والدته فعزم وتوجه إلى الموصل فحلب فدمشق وحن إلى الأرض المقدسة فرحل متوجهاً إلى القاع العزيز وبلاد صفد سنة ١١٤٠ هـ وفى تلك السنة ولد له ولد هو الشيخ محمد كمال الدين .

وأقام فى القدس يرشد ويصنف إلى سنة ١١٤٥ هـ حين عزم على الحج مع رفقائه ومنهم (حسن بن مقلد الجيوشى) [الجيوشى الآن] شيخ ناحية بنى صعب [قضاء طولكرم وأصلها طور كرم وهو الأصح] فتوجه إلى المزيريب ومنها إلى المدينة فمكة وعاد مع الركب الشامى إلى القدس .

وفى سنة ١١٤٨ هـ سار للبلاد الرومية [تركيا الآن] . فمر على بلاد صفد ودمشق ، ثم دار السلطنة ، وتوجه منها بحراً إلى الإسكندرية فوصلها فى ثمانية أيام ، ومنها إلى مصر . وعزم بعد ذلك على الرجوع للشام فدخل القدس ، وكانت له بنت رآها مريضة وقد توفيت بعد ذلك فحزن عليها كثيراً . وفى سنة ١١٤٩ هـ توجه إلى أرض الكنانة وصحبه جمع كثير ، وظهرت كلمته ، ولما جاوزوا المائة ألف لم يعد يحصيهم . وحج وعاد إلى دمشق ، وكان واليها إذ ذاك سليمان باشا المظمى [المعظم] فنزل قرب الخانقاه السمساطية وتحول بعد ذلك إلى نابلس فمكث فيها مدة . وفى سنة ١١٥٢ هـ توجه إلى القدس وبقى بها إلى سنة ١١٦٠ هـ ، ثم سار إلى مصر والساحل الشامى ، فوصل مصر ونزل قرب الأزهر . ولما وصل قرية الروابل تلقاه الأستاذ الحفنى مع خلائق كثيرين من علماء مصر ، وأقام يرشدهم ويزدحمون على بابه وقل من يتخلف عن تقبيل يديه . وفى سنة ١١٦١ عزم على الحج . وأخذ الطريقة

---

(١) هو خير الدين الرملى العليمى الفاروق الإمام المحدث صاحب الفتاوى الخيرية (الحنفية) ولد سنة (٩٩٣ هـ) وتوفى سنة ١٠٨١ هـ ، ترجمه المحبى ص ١٣٤ .

(٢) كتب عنها رحلته الحلبية .

(٣) تقع هذه الخلوة فى الحرم القدسى على يسار الصاعد إلى درج الصخرة وتعرف بالخلوة البكرية الآن .

(٤) وهى أعظم أثر من آثار العثمانيين فى القدس بل فى فلسطين ، حاشا سور بيت المقدس . ولا تزال هذه التكية عامرة توزع الحساء (الشورباء) والخبز على فقراء بيت المقدس أسست سنة (٩٥٩ هـ — ١٥٥١ م) أسستها خاصكى سلطان (روكسلنا) زوجة السلطان سليمان القانونى .

(١) أنشأها السيد عبد القادر الجيلانى فى بغداد سنة (٥٦١ هـ) وهى أهم الطرق فى العراق والهند

النقشبندية (١) عن مراد الأزبكى النجارى النقشبندى ، وكان ينفق عن سعة ، مثل أرباب الثروة وأهل الدنيا ، ولم تكن له جهة يعرف منها كيف بقى بأدنى مصرف من نفقاته . وتوفى سنة ١١٦٢ هـ بعد عودته من الحج مبكياً عليه ، ورثاه الشعراء وحزنت عليه مصر والشام وألوف من مريديه وأتباعه . ودفن بالقرافة فى تربة المجاورين وقبره مشهور يزار ويتبرك به .

هذا هو الأستاذ الصديقى ، الدمشقى ، القدسى ، دفين مصر الذى ترك لنا فى رحلاته الكثيرة تراثاً دفيناً نرجو أن نكشف لقراء العربية بعض آثاره تنويراً للأذهان عن قرن لا نعلم عنه إلا القليل أو ما هو أقل من القليل ...

أحمد سامى الخالدى

(١) أنشأ هذه الطريقة بير محمد فى القرن الثامن الهجرى (٧١٧ — ٧٩١ هـ) — (١٣١٧ م — ١٣٨٨ م) الملقب بالشاه ومقامه فى عارفان على مسافة ساعة من مدينة بخارى ، ويفضل هذه الطريقة المغول والتتار والفرس ، وللنقشبندية فى القدس زاوية عند درج الغوانمة فى الجهة الشمالية من الحرم القدسى ، وهى عامرة منذ أكثر من ٤٠٠ سنة ، ويرأسها الآن الصديق اللطيف العارف بالله الشيخ يعقوب الأزبكى النجارى النقشبندى

من وحى الصوم :

هيـــام المتصوفين

للشيخ محمـــد رجب البيومي

(إلى أخى الأستاذ محمود فهمى البيومى ، وصديقى الروحانى الأستاذ عبد اللطيف عيسى)

الحب ! معنى ثائر عاصف ، شعر به كل إنسان تتأجج فى صدره لوعة ، وتشتجر فى جوانحه عاطفة ، وهو على تباين أنواعه وتعدد ألوانه ، مؤرق مفزع ، يطوى بساط الأنس والدعة ، ويغرس أشواك الضجر والتبرم . وسل الوالد أى حنين مشبوب يمزق أحشاءه حين يتشوف إلى نجله النازح راجياً آملا . وسل الصديق أية لهفة حارة تضطرم فى إحساسه حين يتطلع إلى أنباء صديقه الغائب ، ويتلمس أسباب الحديث عنه فى لذة وشغف . وسل الصب العاشق كم يذرف من الدموع الملتهبة إذا وقفت الحوائل فى وجهه ، وقامت السدود دون مبتغاه . بل وسل العارف بربه كم قاسى من المصاعب وتكبد من المشاق حتى رفرفت روحه فى أجواء الملائكة ، فنعمت بلذتها الكبرى ، وظفرت بسعادتها الباقية ؟

والحب الإلهى أسمى أنواع المحبة وأقدمها ، وإن كان يكلف صاحبه من دمه وروحه ما تقشعر له الأبدان ، فيقضى سحابة يومه وسواد ليله ، شارد العقل ، مبلبل الخاطر ، يخاطبه الناس فلا يسمع ، ويستعطفه ذووه فلا يجيب ، فهو — فى نظرهم — حاضر كغائب ، وحى كميت ، وما يزال يذيب نفسه ويعذب أحاسيسه حتى يصير شبحاً هائماً يُرى فى الوهم ولا يكاد يصدقه العيان . وهكذا الروح إذا قوى اتصالها ، وشع ضياؤها ، تمرست بالجسد الضيق فأنحلته وأسقمته ، وهذا كله قليل غير كثير فى جانب ما يبتغى العارف من لذة الوصْل ، ونعيم المشاهدة ، ومن يطلب الحسناء لم يغله المهر ...

وليس التصوف حدثاً طارئاً فى الشريعة الإسلامية ، فقد كان الصحابة رضى الله عنهم من كبار المتصوفين ، وكانوا من النقاء والصفاء فى درجة سامية . ثم خلف من بعدهم خلف لزموا نهجهم السوى وساروا فى طريقهم العلوى ، وإذن فقد كان التصوف بمعناه الفطرى من صفات المسلم الأول يقبل عليه فى ارتياح ، وينجذب إليه فى حنين ، حتى تبدلت الحال وانغمس المسلمون شيئاً فشيئاً فى ما جلبته الحضارة من الترف والنعيم ، وهنا بدأ التصوف يظهر بصورة جديدة ، فقد أغضب هذا المصير قوماً عرفوا الله حق معرفته فاعتزلوا الناس ، ولاذوا بقمم الجبال ومطارح الفلوات ، نائين عما يغمر الحضريين من لذة ومتاع ، وفى هذه الخلوات الهادئة هبطت عليهم أشعة السماء ، فغمرت أرواحهم بالنور ، ومدت أجنحتهم بالقوة ، فحلقوا كالنسور فى آفاق رحيبة ، ورزقوا عيوناً بصيرة نافذة ، ترى ما لا يراه الناظرون .

والشريعة الإسلامية لا تنكر الاتصال السماوى ، بل إنها تذهب إلى تأييده أتم تأييد بما تذكره عن كرامة الولى وحرمة العارف ، وقد أسهب أئمة الإسلام فى الدفاع عن المتصوفين ،

مستمدابن بفيض زاخر من الآيات والأحاديث ، وممن برزوا فى هذا الميدان حجة الإسلام أبو حامد الغزالى ، وقد نصصت عليه بذاته لأنى أرتاح كثيراً إلى منطقه الواضح ، فهو لا يتمسك بالأدلة الظنية ، ولايلتفت إلى الموضوع من الأحاديث والأساطير وجاء ابن خلدون فأيد القوم تأييداً لم يبق بعده مستزاد لمستزيد ، فقد سلم لهم جميع ما يدعونه من كشف واتصال ، وخوارق وكرامات . وإليك ما ذكره فى مقدمته ، قال : « ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحس ، والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شىء منها ، والروح من تلك العوالم ، وسبب ذلك الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس ، وقويت أحوال الروح ، وغلب سلطانه ، إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً ، ويكشف حجاب الحس فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية ، والعلوم اللدنية ، وتقرب ذاته من الأفق الأعلى ، أفق الملائكة . وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة ، فيدركون من حقائق الروح ما لا يدرك سواهم ، ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم فى الموجودات السفلية ، وتصير طوع إرادتهم ، والعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يخبرون عن حقيقة شىء لم يأمروا بالتكلم فيه » .

وما دامت الروح قد اتصلت بالله هذا الاتصال ، فلا عجب إذا هامت فى حبه ، ونسيت العالم الأرضى بما يدرج فيه من إنسان وحيوان ، بل إن من القليل عليها أن تهيم هياماً متصلا فى سلوكها الروحى ، فقد قطفت الثمرة الحلوة ، ومنحت الوسام الرفيع .

والحب الإلهى كالحب الإنسى ، منطقته القلب ، ونافذته الإحساس ، فإذا قويت دواعيه ، واشتدت دوافعه ، فإنه يسيطر على الجسم سيطرة تامة ، فتتحول الأعضاء جميعها إلى ألسنة ناطقة بذكر الحبيب ، فهى من شغلها الشاغل فى هيام متصل وسكر دائم ، وأنت تنظر — مثلا — إلى عاشق الفتاة ، فتجده شارد اللب ، نحيل الجسم ، ممتقع اللون ، فلا تستكثر أن ترى عاشق الذات العلوية متصفاً بهذه الصفات ، بل إن المنطق يقضى أن يكون أكثر نحولا ، وأشد ذهولا ، حيث كان ذا مقصود أعظم ، وأمل جامح طموح .

ولا يسعنا وقد تعرضنا لهذه الناحية أن نذكر أن الحب الإلهى يكون فى غالب أمره تطوراً لحب إنسانى ، فكثير من العارفين قد ذاق فى مقتبل شبابه مرارة الحب الأرضى ، وعانى ما يعانيه العاشق من منع وحرمان ، وهو بذلك قد مرن على السهر والنواح ، فإذا ما هطل الفيض السماوى على روحه ، بعد وقت قريب أو بعيد ، كان على استعداد تام للسير فى طريقه المملوء بالعرق والدموع ، حتى ينتهى منه بسلام .

يذكر الكاتبون أن تصوف الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى كان خاتمة لرحلة لذيذة قام بها فى عالم الصبوات الحسية ، فقد شاهد فى مكة فتاة فارسية ذات عقل راجح ، وذكاء متوقد ، ثم هى على جانب فائق من الحسن ، فطارحها الأحاديث ، وتساقيا كؤوس الجدل العلمى ، وما زال يحن إلى سمرها الشهى ، حتى سرقت قلبه ، وملكت زمام مشاعره ، فساق فيها القصائد الرائعة ولم يشأ أن يخفى أمره معها بعد تصوفه ، بل كتب عنها فصلا ممتعاً جاء فيه : « وهى طفيلة هيفاء ، تقيد النظر ، وتزين المحاضر ، وتحير المناظر ، ساحرة الطرف ، عراقية الظرف ، إن أسهبت أتعبت ، وإن أوجزت أعجزت ، شمس بين العلماء ، بستان بين الأدباء ، يتيمة دهرها ، كريمة عصرها ، أشرقت بها تهامة ، وفتح الروض لمجاورتها أكمامه » ...

والذى يقرأ مقطوعات ابن عربى يلمس إخلاصه فى حبه ، ويحمد له أن تعلق بذات علم وفضل ، فوقع الطير على شكله ، وانجذب الشبيه إلى شبيهه ، والعجيب الغريب أن الشيخ الأكبر قد حاول أن يشرح قصائده فى صاحبته شرحاً لا يتفق مع ما صرح به فيما سبق أن نقلناه عنه ، فهو يحول أبياته إلى ميدان آخر غير ميدانها الأصيل ، مع أن القارئ العادى لا يمكن أن يطمئن إلى شرحه الملفق ، فما ظنك بمن يتعقبونه من أذكياء الناقدين ، وإذا كان ابن عربى قد أعلن غرامه الإنسانى فى نثره ، فلم يلجأ ثانية إلى اللف والدوران فى شعره الجميل ؟ !

هذا قول يحتاج إلى دليل ملموس ، فليسمع القراء أولا هذه الأبيات :

مرضى من مريضة الأجفان ... عللانى بذكرها عللانى
بأبى طفلة لعوب تهادى ... من بنات الخدور بين الغوانى

من بنات الملوك من دار فرس ... من أجل البلاد من أصبهان
لو ترانا برامة نتعاطى ... أكؤساً للهوى بغير بنان
والهوى بيننا يسوق حديثاً ... طيباً مطرباً بغير لسان
لرأيتم ما يذهل العقل فيه ... يمن والعراق مجتمعان ! !

ثم ليسمعوا ثانية ما قاله الشيخ فى شرح البيت الأول — على سبيل المثال — « المرض ، الميل ، أقول لما مالت عيون الحضرة المطلوبة للعارفين من جانب الحق سبحانه بالرحمة والتلطف إلينا أمالت قلبى بالتعشق إليها » .

فليت شعرى ما هذا الالتواء ، وعلام التستر بعد الوضوح ؟ وإذا كنا نعلم أن صاحبته الأولى فارسية من بنات الملوك فى أصبهان ، فكيف يمكننا أن نفهم هذا الفهم الغريب ؟ وهل يعيب الصوفى أن يسجل صبابته الأولى بشعر يتغنى به الناس ؟ ! لعل الشيخ قد أراد أن يبرز للناس مقدرته العجيبة فى التأويل والتخريج جرياً على ما اشتهر من ادعائه العريض ! !

إن الذى يتعبنا كثيراً فى غزل المتصوفين هو أننا نحمله حملا على المعانى الروحية المقدسة ، سواء أنطق بذلك أم لم ينطق ، وهنا توجد المشكلة العويصة ، فكثير من الأبيات تصدم العقول بأحجار ثقيلة ، فلا يمكن أن تنطبق على الحقيقة الإلهية التى يمنيها العارفون ، وهذا ما دفع بعض الشراح إلى التحامل الزائد على ابن الفارض رضى الله عنه ، ولو أننا أوجدنا الفوارق بين النسيب الإنسى والغزل الإلهى لأرحنا عقولنا من التعب الشديد .

وهل يعيب المتصوف أن يكون ذا لونين فى غرامه مادامت عاطفته ملتهبة فى كلتا الناحيتين ؟ وما دامت هناك فوارق زمنية تفصل بين النوعين ، حيث أن من المسلم به أن الهائم بربه لا يمكنه أن يلتفت إلى غيره بحال من الأحوال ؟ وهل نقول لشاعر تصوف بعد أن قضى شبيبته فى الغزل الحسى : مزق نسيبك الأرضى ، وافتح لك فى كتاب القريض صحيفة جديدة ، كيلا يفهم نسيبك الأول على حقيقته الإنسانية ؟ ! لم كل هذا أيها الناس ! !

على أن العواطف الآدمية فى الغزل الإلهى لا تختلف عنها كثيراً فى النسيب الإنسى ، فالعاشق يذكر الغيرة والنحول والسهد كما يذكر ذلك العارف ، ولا ريب فالينبوع الدافق للشعر الغرامى هو الشعور ، وهو هو فى شتى الأوضاع لا يختلف توهجا واشتعالا عند المحبين ، ومن هنا كانت النتيجة واحدة عند الرجلين فالجنون والصرع والتيه قواسم مشتركة بين الدنفين ، وإذا كان الأصمعى قد تجول فى الصحارى الشاسعة ، وتنقل بين الخيام النائية ليسمع آهات المدلهين ويروى أشعار المتيمين من عشاق البادية ، فلم يفته أن يداف إلى المنارات السحيقة ، ويتسلق القمم الشاهقة ويطوف بالبيت المظم ليرى بعينيه دموع العارفين تتساقط ، وزفرات الواصلين تتصاعد ، علماً منه أن هؤلاء لا يقلون عن غيرهم ، لذة حديث ، وغرابة اتجاه ، بل إن سائلا سأله عن الحب فلم يسمعه كلام قيس أو عروة أو جميل ، بل ذكر له حديث هائم عارف ، وقد مهد له بقصة طريفة وصف فى آخرها الحب فقال : « جل أن يحد ، وخفى أن يرى ، كمن كمون النار فى الأحشاء ، إن قدحته أورى أو تركته توارى » . وأمثال هذه النوادر لا تندرج تحت حصر ، ولولا أنها وجدت ظلا من الحقيقة ما كان لها هذا النصيب الوافر من الذيوع .

ولقد كان الهائمون الواصلون يعتزون بغرامهم الإلهى اعتزازاً يفوق كل اعتزاز ، بل يعدونه مفخرة عالية وميزة سامية لا تتاح إلا لمن حباه الله بالفضل الجزيل ، وهذا صحيح لا اعتراض عليه ، ولكن تنافس هؤلاء فيما بينهم قد دفعهم إلى مغالاة لا تسلم من الاعتراض ، فكل محب واصل — إلا من عصم الله — قد ادعى فى أكثر من مناسبة أنه فاق غيره فى محبة ربه ، ووصل إلى ما لم ينله أحد من الخلائق ، فليت شعرى ما مبلغ هذا الادعاء من الصحة ؟ وهل يمكن المدعى أن يقيم البينة على صحة ما يقول ، وهو يرى الأنبياء والملائكة والسابقين من الإنس والجن ، كل أولئك يتزاحمون بالمناكب ويتدافعون تدافعاً شديداً فى مضمارهم الخطير ، نعم قد يكون إخلاصه الزائد وتفانيه الشديد من عوامل هذا الادعاء ، ولكن أليس من الحسن الجميل أن يتواضع فى حبه ويتنازل عن كبريائه فى مثل موقفه العظيم ، فينال تقدير مريديه وسامعيه ، بل ربما جرهم تواضعه إلى تقدير منزلته تقديراً يصل بها إلى ما يريد . وأذكر أنى حين قرأت قول ابن الفارض :

كل من فى حماك يهواك لكن ... أنا وحدى بكل من فى حماكا

شعرت كأنى مخنق مغيظ ، وما زلت أنقب وأحلل ، وأنتقل من تعليل إلى تعليل حتى انتهيت إلى قوله :

ولقد يجل عن اشتياقي ماؤه شرفاً فواطمئي اللامع آله
فارتحت كثيراً لتواضعه ، وكأني نسيت ما سلف من ادعائه ،
فأقبلت على مطالعة ديوانه بلذة وشغف ، ولا ريب فقد تام البيت
الثاني من البيت الأول مقام الاستغفار من الذنب العظيم ! !

وإذا تركنا ابن الفارض وانتقلنا إلى الشيخ الأكبر محيي الدين
نجده قد جال في ميدان الادعاء جولات خطيرة عاصفة ، فقد عز
عليه أن يفهم الناس أن النبي المرسل في درجة تفوق منزلة الولي
الواصل ، فانبرى يوازن موازنة جريئة بين النبي والولي ، ثم أعلن
— في غير تريث — « أن الرسول لا يمتاز إلا بالتشريع ، أما
الولي فميزته الكبرى هي الاطلاع على أسرار الوجود » . وهذا
ادعاء أي ادعاء ، ولكنه من شطحات القوم . وكم للصوفيين من
مزالق محرجة ؟ ! فهل تكون مفقودة لدى معشوقهم الحبيب ؟ !

إن الرسول قدوة مثلى للناس ، فكل ما صدر عنه من قول
أو فعل أو تقرير، فنحن ملزمون بالتمسك به ، أما الولي فليس من
ذلك في كثير أو قليل ، بل إن فريقاً كبيراً من رجال الدين قد
نصوا على وجوب التحفظ الشديد مع الأولياء ، وخاصة بعد أن
اتسعت هوة الخلاف في المسائل الكلامية ، وانتشر على يد فريق
من المتصوفة القول بمبادئ غامضة لا تدركها الأفهام . ومهما
يكن من شيء ، فقد جعل رجال الشريعة للقوم حالتين : حالة
الصحو ، وحالة الغيبوبة ؛ أما الأولى فهم ينطقون فيها بما يتفق
مع الشريعة ، لأن العارف مستيقظ منتبه ، فهو مؤاخذ على كل
ما يصدر منه كما تؤاخذ العامة سواء بسواء . وأما الحالة الثانية
وتسمى بحالة السكر عند بعض الكاتبين ، فلا يلام فيها الواصل
على رأي ، أو يؤاخذ بجريرة قول ، لأنه غائب عن وعيه ، قد ستر
إدراكه بغواش متلاحقة لا يعلم لها كنه . ويذكرون أن أبا بكر
الشبلي رضي الله عنه قد دخل على الجنيد ومعه زوجته ، فأرادت
أن تستتر عنه ، فقال لها الجنيد : تمهلي تمهلي ... فهو في حالة سكره
لا يدرك شيئاً مما أمامه ! وحين مضت مدة غير يسيرة أشار لها
بالاستتار حيث قد انتقل صاحبه من حال إلى حال . ومعلوم أن
الجنيد رحمه الله من القلائل الذين يتمسكون بتعاليم الشريعة ،
فلا يرون أنفسهم من فصيلة أخرى ترتفع عن الناس ، ومع ذلك
فقد عرف صاحبه في حالتيه ، ومن عسى أن يكون أنبه منه في
الادراك والتمييز ؟ !

وكنت أوثر أن نعتبر المتصوفين في حالة واحدة مدى الحياة ،
وهي حالة الغيبوبة والسكر ، فلا نجعل لهم من الصحو وقتاً نؤاخذهم
فيه على الأقوال والأفعال ، وإلا فقد أدت هذه المؤاخذة إلى
الإطاحة برءوس مفكرة . وكتب التصوف مليئة بأخبار من
استشهدوا في هذا الميدان . وكم يقع القارئ في حيرة شديدة حين
يرى الصوفي العارف ينطق بما يعتبر بعيداً عن الحق ، فيساق إلى
مصرعه السريع ثم يأتي — بعد — من رجال الدين وأعلام
الشريعة من يبرر قوله ويوجه مذهبه توجيهاً لا يخرج عن المنطق
السديد — كما فعل الغزالي مع الحلاج مثلا — فبأي جريرة إذن
سفك هذا الدم ، وكيف غاب هذا التأويل عمن أثاروا الغبار ،
وأيقظوا السيوف من الأغماد ؟ الحق أنها حيرة شديدة ألتمس
الخروج منها فلا أستطيع !!

إن التصوف محنة قبل أن يكون نعمة ؛ فالعارف يكابد من
الأهوال ما يقض المضجع ويسيل المدامع ، ثم هو بعد ذلك يتهم
في دينه ، ويساق إلى حتفه كما تساق الشياه !!

ولكن أي هول يكابد ؟ لا يقدر ذلك غير من سار في الطريق
بضع خطوات ، فعرف كيف تحارب النفس ، ويضطهد الجسد ،
وتندلع في القلب ألسنة اللهيب !!

إن الشاب في عنفوان قوته يصوم اليوم الواحد في ألم وامتعاض
وما يكاد يسمع الآذان عند الغروب حتى يهجم كالليث على المائدة
الحافلة بما لذ وطاب ، فما يذر من شيء أتى عليه ، وهؤلاء الساكين
يصومون الأيام الطويلة ولا يفطرون بغير الماء وكسر يابسة
من الخبز لا تقوى على تحطيمها الأنياب !!

إن الشاب الفتي لا يتسلق قنن الجبال إلا في وضح النهار ،
قوة مجندة من رفقائه ، وعدة مدخرة من الأسلحة الفاتكة ،
يتقي بها الهوام والسباع ، وهؤلاء الساكين يسمون في حنوس
الليل إلى التلال والهضاب فيتفكرون في ملكوت السموات
والأرض فإذا حطمهم اللغوب ، هجعوا قليلا في الكهوف
والمغارات !!

(البقية في العدد القادم)

محمد رجب البيومي

في آفاق حافظ ابراهيم

بمناسبة ذكرى وفاته

للأستاذ حسين مهدي الغنام

الشاعر الحق هو من ينظم في كل ما يوحى إليه ترجمة عواطفه ، سواء كان ذلك عاقلا أم جماداً .

ولقد يقتصر شاعر من الشعراء على غرض واحد من أغراض الشعر ، ينظم فيه طيلة حياته ، فيبلغ الذروة في هذا النمط الواحد وقد لا يستطيع أن ينظم في غرض آخر ، ولكنك لن تستطيع الا أن تعده شاعراً من أكابر الشعراء ، وإن قصر في غير الناحية الواحدة .

وقد يحكم لشاعر بقصيدة واحدة !

وكثيرون من الشعراء ينظمون في مختلف الأغراض ، ويعددون أنماط شعرهم ونظمهم ، وقد يكونون رابع الشعراء الذين يقصدهم ابن رشيق في كتابه العمدة .

وقليلون من أجادوا في تلك النواحي والأغراض المختلفة ..

ومن هذا النمط من الشعراء كان شاعرنا حافظ ابراهيم .

فلقد تعددت آفاقه في نظم الشعر ، وأسهم في كل فن من فنونه ، صادق القول ، قوى التعبير ، جميل الأداء ، مرهف الاحساس ، متدفق البيان .

ولم يكن حافظ شاعراً فحسب ، ولكنه كان كاتباً أيضاً ، وإن لم يكن نثره في مرتبة شعره .

وهذه بعض آفاق حافظ التي حلق فيها شاعراً مرهفاً ، وناثراً بليغاً .

١ — شاعر مصري :

كانت البيئة المصرية التي نشأ فيها حافظ مليئة بما يؤز جوانب المخلصين من أبناء البلد ويقض مضاجعهم ، فقد كان الانحطاط سائداً في كل ناحية من نواحيها .

فالجهل يخيم على الشعب كله تقريباً .

والاحتلال البغيض يقيد الشعب ورائديه ، ويكم أفواه هؤلاء ، ويلقي بهم في غيابات السجون .

وهنا ظهر حافظ .

ظهر حافظ فكان لسان الشعب الناطق ، يصف شعور الجمهور ويذكيه ، وإن كان يشعر أن لسانه مقيد ، وقلمه مراقب ، وسيف الجلاد يلمع أمام ناظريه ، ولكن هل يصمت ، كما قال :

إذا نطقت فقاع السجن متكأى
وإن سكت فإن النفس لم تطب

كان شعور حافظ في هذه الفترة ممثلا في هذا البيت خير تمثيل . ولم يكن هذا شعور حافظ وحده ، ولكنه كان شعور المصريين بل الشرقيين جميعاً !

من الواضح أن حافظاً تأثر بالبارودي تأثراً شديداً في حياته ومنهجه ...

ويعتبر البارودي أمام المدرسة الحديثة في الشعر المصري التي خرجت على أساليب المتزمتين في الجيل السابق له ، فعاد البارودي ومن خلفوه بالشعر العربي إلى بعض عصوره الزاهية إبان النهضة العربية .

وقد قامت الثورة العرابية أيام البارودي ، بل كان البارودي بطلا من أبطالها المعدودين ، ولكنه لم يساهم فيها بقلمه وشعره ، بل ساهم فيها بسيفه ورأيه الفني . وهو الحد الفاصل بين مدارس الشعر القديمة ، وفاتح أبواب المدارس الحديثة ، بل إمامها ورائدها ...

ولقد جاء حافظ من بعد البارودي فكان الحلقة المتوسطة بين المدرسة التي وضع أساسها البارودي ، وبين المدارس التالية التي أنشأها شعراء الجيل الجديد .

إلا أن حافظاً لم يسر سيرة البارودي في ثورته ، فلقد أسهم حافظ في ثورات المصريين التالية بشعره ، ولم يكن رائداً فيها بسيفه ...

ومن هنا كان حافظ بحق أول شاعر مصري حديث ينطق بلسان شعبه ، وبلسان الأمم الشرقية الشقيقة .

فهو يستحث الشعب على مقاومة الغاصب ، ومحاربته ، ويستنهض الهمم ، ويستنفر النفوس ، ولم يقتصر على السياسة !

فحسب ، وإن كان له فى السياسة والوطنيات ديوان ضخم قائم برأسه ، ولهذا لا أريد أن أنقل منه شيئاً هنا ، فقصائده عديدة ومشهورة .

ولكن حافظاً طرق أبواب الاصلاح كلها ، وحث المصريين على إصلاح عيوبهم الداخلية ، وحياتهم الاجتماعية المتأخرة ، ونعى عليهم عاداتهم السخيفة ، وتقاليدهم المزرية ، وشتى نواحى حياتهم المظلمة الراكدة ، وتكاسلهم وتوانيهم وقعودهم عن العمل والهجرة فى طلب الرزق ، فهو ينقد الألقاب ، والتكاسل ، وغيرها ، إذ يقول :

وهل فى مصر مفخرة ... سوى الالقاب والرتب
وذى إرث يكاثرنا ... بمال غير مكتسب
وفى الروى موعظة ... لشعب جد فى اللعب

أمة قد فت فى ساعدها ... بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب فى غير العلا ... وتفدى بالنفوس الرتبا
وهى والأحداث تستهدفها ... تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها ... أم بها صرف الليالى لعبا

ثم هو يدعو إلى الاصلاح الاجتماعى الشامل فى كل شىء ، فاقرأ قصائده فى جمعيات رعاية الأطفال ، وقصيدته فى مدرسة بور سعيد للبنات :

لا تهملوا فى الصالحات فإنكم
لا تجهلون عواقب الأهمال

من لى بتربية النساء فإنها ... فى الشرق علة ذلك الاخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

***

ربوا البنات على الفضيلة أنها ... فى الموقفين لهن خير وثاق
وعليكمو أن تستبين بناتكم ... نور الهدى وعلى الحياء الباق

لو وفى بالزكاة من جمع الدنيا ... وأهوى على اقتناء الحطام
ماشكا الجوع معدم أو تصدى ... لركوب الشرور والآثام
راكباً رأسه طريداً شريداً ... لا يبالى بشرعة أو زمام
سائلا عن وصيه الله فيه ... آخذاً قوته بحد الحسام

فهؤلاء هم الذين ينشأون لصوصاً !

ثم يقول فى الجامعة المصرية القديمة :

حياكم الله حيوا العلم والأدبا ... إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا
ولا حياة لكم إلا بجامعة ... تكون أماً لطلاب العلا وأبا

وهو ينعى انحلالنا الاقتصادى كانحلالنا السياسى ، فيقول فى الشركات وفى اليهود :

وما الشركات السود فى كل بلدة ... سوى شرك يلقى به من تصيدا

لقد سعدت بغفلتنا فراحت ... بثروتنا ، وأولها (الترام)
فياويل القناة إذا احتواها ... بنو التاميز ، وانحسر اللثام

وفرّج أزمة الأموال عنا ... بما أوتيت من رأى سديد
وسل عنها اليهود ولا تسلنا ... فقد ضاقت بها حيل اليهود

ارحمونا بنى اليهود كفاكم ... ما جمعتم بحذقكم من نقود

فمصر هي فى نظره وفى خلده :

لا مصر تنصفنى ولا ... أنا عن مودتها أريم
وإذا نحول بائس ... عن ربعها فأنا المقيم

ولا تظن أبياته القادمة إلا أنها ستظل خالدة يرددها المصريون ما داموا فى نكباتهم السياسية والاقتصادية يتخبطون ، لأنها تصور أحوالنا الحاضرة خير تصوير ، وتنطق بلسان كل مصرى مخلص :

متى أرى النيل لا تحلو موارده ... لغير مرتهب لله مرتقب
فقد غدت مصر فى حال إذا ذكرت
جادت جفونى لها باللؤلؤ الرطب
كأننى عند ذكرى ما ألم بها ... قرم تردد بين الموت والهرب

أيشتكى الفقر غادينا ورائحنا ... ونحن نمشى على أرض من الذهب
والقوم فى مصر كالأسفنج قد ظفرت
بالماء لم يتركوا ضرعاً لمحتلب

٢ — شاعر شرقي :

ولم تقف آفاق حافظ عند مصر فحسب ، ولكنها شملت الشرق كله ، قاصيه ودانيه .

فكان يتوجع للأمم الشرقية السليبة، كما قال شوقي: كلنا في الهم شرق!.

ومن هذا قصائده في الترك، والمغرب، وسوريا ...

وكان يفخر بالأمة الشرقية الناهضة، كفخره باليابان الفتية المتجددة، وقصائده فيها معروفة. فليته حي ليقول فيها اليوم قولا ...

ثم إنه يحب أن يرى الوئام سائداً بين الشرقيين جميعاً، ولا يتخذ الغاصبون من تنابذ الشرقيين بالأديان سبيلا إلى التفرقة بينهم. قال في عيد الدستور العثماني:

تحالف في ظل الهلال إمامه ... وحاخامه بعد الخلاف وراهبه
خذوا بيد الإصلاح والأمر مقبل ... فإني أرى الإصلاح قد طر شاربه

وقال في غزو الطليان لطرابلس:

بارك المطران في أعمالهم ... فسلوه بارك القوم على ما
أبهذا جاء إنجيلهمو ... آمراً، يلقي على الأرض سلاما
كشفوا عن نية الغرب لنا ... وجلوا عن أفق الشرق الظلاما

وقال في تحية العام الهجري ١٣٢٧ هـ:

سلوا الترك عما أدركوا فيه من منى ... وما بدلوا في المشرقين وغيروا
وإن لم يقم إلا (نيازي) و (أنور) ... فقد ملأ الدنيا (نيازي) و (أنور)

في هذه القصيدة وحدها سجل ما مر على الشرق كله في عام، فقد جمع ما قامت به دوله من نهضات، وما لمح فيها من بوارق نهضات وتقدم، وفيها إهابة بالشرق أن يسير دائماً إلى الأمام، وفيها أمان بعيدة عالية، إذ يقول:

مضى زمن التنويم يا نيل وانقضى ... وفي مصر أيقاظ على مصر تسهر
وقد كان (مرفين) الدهاء مخدراً ... فأصبح في أعصابنا يتخدر

ثم يناشدهم فيقول:

رجال الغد المأمول إنا بحاجة ... إلى قادة تبني وشعب يعمر

ويمضي في هذه المناجاة والإهابة حتى يبلغ قوله:

فما ضاع حق لم ينم عنه أهله ... ولا ناله في العالمين مقصر
لقد ظفر الأتراك عدلا بسؤلهم ... ونحن على الآثار لا شك نظفر

وكذلك قصيدته في العام الذي يليه ...

وإنك بمقارنتك بين هاتين القصيدتين تدرك آمال حافظ التي ظل يتغنى بها في مصر والشرق جميعاً طيلة حياته.

ففي الأولى تسجيل للأمل الذي بدا بنهضة الأمم الشرقية، وفي القصيدة الثانية ثورة، لأن كل ما أمل حافظ في تحقيقه لم يتحقق!

يقول في الثانية:

أشرق علينا بالسعود ولا تكن ... كأخيك مشؤوم المنازل أخرقا
قد كان جراح النفوس فداوها ... مما بها وكن الطبيب موفقاً
هللت حين لمحت نور جبينه ... ورجوت فيه الخير حين تألقا
وهززته بقصيدة لو أنها ... تليت على الصخر الأصم لأغدقا
فنأى بجانبه وخص بنحسه ... مصراً وأسرف في النحوس وأغرقا
لو كنت أعلم ما يخبئه لنا ... لسألت ربي ضارعاً أن يمحقا

ولكنه يعود فلا ييأس، ويخاطب شباب البلاد:

أهلاً بنابتة البلاد ومرحبا ... جددتمو العهد الذي قد أخلقا
لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم ... فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى

ولقد كان حافظ يريد أن يرى الشرق ناهضاً حياً، ذا قوة ترهب الغرب ...

ولكن ...!

إلا أنه يتفاخر بأية أمة شرقية قوية، ناهضة، تطاول الغرب وتهزمه.

قال في حرب طرابلس ما قال، كما تقدم، ولكن قف عند هذا البيت من تلك القصيدة:

أيها الحائر في البحر اقترب ... من حمى (البسفور) إن كنت هماما

إن هذا البيت من شعر حافظ يصور لي حافظاً كالأسد السجين في قفص!

فبمن يتفاخر حافظ؟

إنه لا يجد أمامه غير تركيا، فيتحدى بسفورها أسطول الطليان، ويطلب إليه أن يقترب من حماه إن كان شجاعاً، فسيضربه الترك، وإن عجز عن ضربه المغاربة ...

وشيء خير من لا شيء ...

ولـكنه حافظ السجين الطليق ، الذى يأمل ويتمنى ويريد ، ولـكن الأقدار لم تسعده فتسعفه بما أراد !

ويظل حافظ بين عاملى الأمل واليأس والتفاخر والاستنهاض فإذ تسعه يقول :

يا ليتنى لم أعاجــــل   بالموت قبـل الأوان
حتى أرى الشرق يســـمو   رغم اعتـــداء الزمان
ويســـترد جـــلالا   له ورفعـة شـأن
وليعـــلم الغرب أنا   كأمـة اليـابان
لا نرتضى العيش يجرى   فى ذلة أو هوان

تراه يقول أيضاً :

فاطمئنى أمم الشرق ولا   تقنطى اليوم فإن الجد قاما
إن فى أضلاعنا أفئدة   تعشق المجد وتأبى أن تضاما

٣ — شاعر ساخر :

ومن النواحى البارزة فى شعر حافظ سخريته اللاذعة ، فقد كان يصب غضبه وثورته فى أبيات من الشعر ساخرة شديدة المرارة ، وإن جاءت فى معرض النصح والجد والوطنية !

قال فى قصيدة (آلامنا وآمالنا) المرفوعة إلى البرنس حسين كامل باشا :

فلا تثقوا بوعد القوم يوماً   فإن سحاب ساستهم جهام
وخافوهم إذا لانوا فإنى   أرى السواس ليس لهم ذمام
فكم ضحك العميد على لحانا   وغر مراننا منه ابتسـام

وقال إلى روزفلت فى زيارته لمصر :

يا نصير الضعيف مالك تطرى   خطة القوم بعد ذاك النكير
لم تطيقوا جوارهم بل أقمتم   فى حماكم من دونهم ألف سور
أنت تطريهمو وتثنى عليهم   نائياً آمنا وراء البحور

***

وعجيب يفوز هذا بانطلاق   وهذا فى ذلة المأســـور
يا نصير الضعيف حبب إليهم   هجر مصر تفز بأجر كبير
فليهم أن يهجروا وعلى المصرى   ذكر المتيم المهجـــور

والأبيات الآتية من قصيدته فى استقبال السير جورست :

قتيل الشمس أورثنا حياة   وأيقظ هاجع القوم الرقود
فليت كرومرا قد دام فينا   يطوق بالسلاسل كل جيد
ويتحف مصر آنا بعد آن   بمجلود ومقتول شهيد
لننزع هذه الأكفان عنا   ونبعث فى العوالم من جديد

***

بحمد الله ملـككم كبير   وأنتم أهـل مرحمة وجود
خذوه فأمتعوا شعباً سوانا   بهذا الفضل والعلم المفيد
إذا استوزرت فاستوزر علينا   فتى كالفضل أو كابن العميد

***

لحى بيضاء يوم الرأى هزت   على حمر الملابس والخدود

***

وفرج أزمة الأموال عنا   بما أوتيت من رأى سديد
وسل عنها اليهود ولا تسلنا   فقد ضاقت بها حيل اليهود

كما قال ساخراً من سكوت المصريين على الضيم :

فيا ليت لى وجدان قوى ! فأرتضى   حياتى ولا أشقى بما أنا طالبه

وقوله :

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم   هى أمة تلهو وشعب يلعب

واقرأ كذلك قصيدته فى وداع اللورد كرومر ، فإن فيها من السخرية ما ينم عن روح حافظ فى هذا الضرب .

ومن سخريته القاتلة قوله فى حرب طرابلس :

قد ملأنا البر من أشلائهم   فدعوهم يملؤوا الدنيا كلاما
خبروا (فكتور) عنا إنه   أدهش العالم حرباً ونظاما
أدهش العالم لما أن رأوا   جيشه يسبق فى الجرى النعاما
لم يقف بالبر إلا ريثما   يسلم الأرواح أو يلقى الزماما
حاتم الطليان قد قلدتنا   منة نذكرها عاماً فعاما
أنت أهديت إلينا عدة   ولباسا وشرابا وطعاما
وسلاحا كان فى أيديكمو   ذا كلال فغدا يفرى العظاما

ففى هذه الأبيات يصف حافظ الطليان على حقيقتهم ، كما عرفناهم ، حتى فى الحروب الأخيرة !

(البقية فى العدد القادم)

حسين مهدى الغنام

مخطوط لم يعرف من قبل

ابن سينا والبعث

للأستاذ سليمان دنيا

(تتمـــة)

انتهينا في مقالنا السابق إلى أن ابن سينا يمكن اعتباره قائلا بأن البعث روحي فقط ؛ وأبنا أن المطاف حول نصوصه في هذا المقام — أخذا من الشفاء ، والنجاة ، والإشارات — ينتهي ، رغم تضاربها إلى إنكار البعث الجسماني .

لكن تاريخ الفكر الإسلامي ، ما كان ليقنع من ابن سينا في موضوع خطير كموضوع البعث ، بادعاء قصاراه الإمكان والتجوز ، أو الترجيح وغلبة الظن . ليس معه من الشواهد والأدلة — حتى في نظر صاحب الادعاء — ما يسمو به إلى مصاف النظريات العلمية .

وقد كان ابن سينا عند ظن العلم به ، فلم يقنع هو من نفسه ، كما لم يقنع منه العلم ، بهذه الوقفة الحائرة ، فراح يشرع قلمه ليدبج عصارة فكره في هذا المقام .

وقد دلنا البحث والتنقيب على أن له في هذا الموضوع كتابين :

أحدهما يعرف بـ « رسالة في المبدأ والمعاد » .

وثانيهما يعرف بـ « رسالة أضحوية في أمر المعاد » .

وإذا كان ابن سينا قد أفرد كتابين لموضوع كهذا جرت عادة غيره بأن يتكلم عنه كلاماً ، يعد وافيا في بابه ، ضمن كتاب لا في كتاب مستقل ولا في كتابين ، كان الأمل قويا في أن يتكشف ابن سينا على حقيقته في هذه المسألة ، وأن ينجلي الموقف عنده فيها انجلاء ، لا يبقى معه مجال لهذه البلبلة الفكرية التي أوحت بها كتبه الأخرى ، بما تحمل من أفكار متضاربة ، وآراء متنافرة متعارضة .

رجعت إلى أول الكتابين فإذا هو يقول في مقدمته : « ... وبعد فإني أريد أن أدل في هذه المقالة على حقيقة ما عند المشائين ، بين المحصلين من حال المبدأ والمعاد ، وتقربا به إلى الشيخ الجليل أبي أحمد محمد بن إبراهيم الفارسي ... الخ » .

ولما كنت قد عرفت رأي ابن سينا في المشائين ، وأنهم عنده من عامة المتفلسفة ، لا من خاصتهم ، وأنه كان ينحو نحوهم ويؤلف على غرارهم حين يكتب للعامة ؛ أما الخاصة فإنه يدخر لهم آراء أخرى مخالفة لآراء المشائين كثيراً من المخالفة ، يودعها كتبا يختصهم بها — انظر المقال السابق ، نص منطق المشرقيين — ، فقد نزعت الثقة من هذا الكتاب كمصدر يؤرخ منه لابن سينا ، وإن صح اعتباره مصدراً يؤرخ منه للمشائين كما يفهمهم ابن سينا إذ ليس يكفي أن يوضع اسم المؤلف على الكتاب ، ولا أن يكون صحيح النسبة إليه ، ليتخذ مصدراً يؤرخ منه له ، بل يجب أن يتحرى وراء التثبت من صحة النسبة ، عن أمر آخر ليس دون صحة النسبة أهمية ؛ ذلك هو قيمة المؤلف في نظر صاحبه ، أعني لمن ألفه ؟ ! هل ألفه ليصور به فكرته وعقيدته ؟ ! ... أم ألفه لأناس آخرين تنزل فيه إلى مستواهم ؟ ! وفي ضوء هذا يمكن اعتبار الكتاب مصدراً يستمد منه التأريخ لمؤلفه ، أو عدم اعتباره كذلك .

ولا شك أن إغفال هذه النظرة يوقع في خلط واضطراب شديدين ، وقد تبينت ذلك واضحاً في دراستي للغزالي ؛ إذ تضارب الكاتبون عنه تضارباً شديداً ، وتأدوا في بحوثهم إلى أحكام متعارضة ، واعتصم كل منهم في تأييد وجهة نظره ، بكتاب من كتبه صحت نسبته إليه ؛ مما حير العقول وبلبل الأفكار ، ومن أجل هذا اعتبر شخص الغزالي مشكلة من مشاكل العلم التي تتطلب الحل والإيضاح ، قال « دبور » : « إن أمثال الغزالي معضلة في نظر العلم ، فأشخاصهم حقائق روحية تحتاج إلى توضيح » .

وكان ذلك من غير شك نتيجة لإهمالهم هذا المبدأ الذي هو الطريق الوحيد ، لإضافة الفكرة إلى المؤلف مع الوثوق من أنها تصور رأيه وتعبر عن عقيدته ؛ فلما أخذت في دراستي له بهذا المبدأ ، أبرزته في كتابي عنه « الحقيقة في نظر الغزالي » شخصية واضحة مفهومة ، لا تضارب فيها ولا تعارض .

ومن حسن حظ العلم أن المؤلفين الذين لهم جوانب متعددة ومظاهر متباينة ، قد عنوا بالدلالة على الكتب التي تصور آراءهم التي يرتضونها لأنفسهم ، تمييزاً لها من غيرها التي تصور أفكاراً

أخرى لا يدينون بها .

فمثلا نجد الغزالى يقول فى كتابه «الأربعين فى أصول الدين» ط الكردى ص ٢٥ :

« ومعرفة أدلة العقيدة قد أوردناها فى الرسالة القدسية فى قدر عشرين ورقة ، وهى أحد فصول كتاب قواعد العقائد من كتاب الإحياء .

وأما أدلتها مع زيادة تحقيق وزيادة تأنق فى إيراد الأسئلة والإشكالات ، فقد أودعناها كتاب « الاقتصاد فى الاعتقاد » فى مقدار مائة ورقة ، فهو كتاب مفرد برأسه يحوى لباب علم المتكلمين ، ولكنه أبلغ فى التحقيق ، وأقرب إلى قرع أبواب المعرفة ، من الكلام الرسمى الذى يصادف فى كتب المتكلمين .

وكل ذلك يرجع إلى الاعتقاد ، لا إلى المعرفة ، فإن المتكلم لا يفارق العامى إلا فى كونه عارفا ، وكون العامى معتقدا ، بل هو أيضاً معتقد ، عرف مع اعتقاده أدلة الاعتقاد ، ليؤكد الاعتقاد ويستمده ، ويحرسه من تشويش المبتدعة ، ولا تنحل عقدة الاعتقاد إلى انشراح المعرفة .

فإن أردت أن تستنشق شيئاً من روائح المعرفة ، صادفت منها مقداراً يسيرا مبثوثا فى كتاب الصبر والشكر ، وكتاب المحبة ، وباب التوحيد ، من أول كتاب التوكل ؛ وكل ذلك من كتاب الإحياء .

وتصادف منها مقداراً صالحاً يعرفك كيفية قرع باب المعرفة فى كتاب « المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » لا سيما فى الأسماء المشتقة من الأفعال .

وإن أردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة ، من غير مجمجة ولا مراقبة ، فلا تصادفه إلا فى بعض كتبنا المضنون بها على غير أهلها . وإياك أن تغتر وتحدث نفسك بأهليته فتستهدف المشافهة بصريح الرد ، إلا أن تجمع ثلاث خصال :

الأولى : الاستقلال فى العلوم الظاهرة ، ونيل رتبة الإمامة فيها .

والثانية : انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية ...

والثالثة : أن يكون قد أتيح لك السعادة فى أصل الفطرة الخ .

***

وهذا هو ابن سينا يقرر فى مقدمة كتابه « رسالة فى المبدأ والمعاد » أنه ألفه على مذهب المشائين ، فيجب — قبل الحكم بأن ما جاء فى الكتاب يصور رأى ابن سينا أولا يصوره — أن يعرف رأيه فى المشائين ، وهل هو يوافقهم ؟ أو يخالفهم ؟ !

وهذا هو نصه فى مقدمة منطق المشرقيين صريح فى أنه لا يدين بكل ما يدين به المشاءون ، ومن المحتمل أن يكون أمر البحث من المسائل التى اختلف فيها معهم ، فلا بد إذن من البحث عن مصدر آخر .

وفضلا عن ذلك فقد جاء فى عبارات الكتاب ما يدل على أن للمسألة عنده غورا ، وأن لها سرا لم يفض به فى هذا الكتاب كقوله « وهذا كلام مغلق ، تحته معان كثيرة ، فى شرحه على الحقيقة تكون النجاة » .

أصبح الأمل بعد هذا معقوداً بالكتاب الثانى . — رسالة أضحوية فى أمر المعاد — ، فلندرسه لنرى قيمته فى نظر ابن سينا ، بعد ما أجمع الباحثون على صحة نسبته إليه .

والقرائن المحيطة بالكتاب تدل على أن ابن سينا صور فيه رأيه ، وأبان معتقده :

أما أولاً : فلأن ابن سينا وهو يتحدث فى الإشارات عن البعث ، أحال استكمال القول فيه على كتاب آخر فيه سعة من القول ؛ والإشارات كما هو معلوم للباحثين يصور آراء ابن سينا التى يدين بها ويعتقدها ، فإذا أحال فيه على كتاب كانت قيمة الكتاب المحول عليه ، خصوصاً بالنسبة للبحث المشترك بين الكتابين ، من قيمة الكتاب المحول فيه ، وقد علمنا أنه نفض يده من الشفاء والنجاة ورسالة فى المبدأ والمعاد ، فلم يبق من الكتب التى تصلح أن تكون مرجعاً استوفى البحث واستكمله حتى يصلح للاحالة عليه إلا كتاب «رسالة أضحوية فى أمر المعاد» وهاك نصه فى الإشارات ط ليدن ص ١٩٧ « ثم ابسط هذا ، واستغن — وفى نسخة : واستعن — بما تجده فى موضع آخر لنا »

وأما ثانيا : فلأن الغزالى قد استمد رأى ابن سينا فى البعث من هذا الكتاب ، والغزالى دارس متعمق ، وقريب عهد بابن سينا وبكتبه ، فهو أعرف بما يصور رأيه وبما لا يصوره . واتهام الغزالى

بأن خصومته لابن سينا تمنع من التعويل على رأيه فيه ؟ يدفعه أن المدافعين عن ابن سينا ضد الغزالى أمثال ابن رشد ، لم يحاولوا قط أن يتهموا الغزالى — خصوصاً فى هذه المسألة — بأنه استقى معلوماته عنها من مصادر لا تعبر عن وجهة نظر ابن سينا التى يدين بها .

وأما ثالثاً : فلأن الكتاب نفسه ، ليس فيه شىء مطلقاً ، يدل على أن ابن سينا لم يعبر فيه عن رأيه ، ولم يصدر فيه عن معتقده ؛ والأصل فى الكتاب — متى صحت نسبته لصاحبه — أنه يصور رأيه ، إلا إذا وجد من القرائن والدلائل ما يصرف عن ذلك .

وفضلاً عن هذا فالكتاب يتلخص فى مرحلتين :

إحداهما : التعريف بكل الآراء التى قيلت فى المسألة .

والثانية : نقد كل هذه الآراء ، إلا رأياً واحداً استبقاه واستصفاه ، وساق على صحته كثيراً من الأدلة . ويحس قارىء الكتاب أن ابن سينا أفرغ فى هاتين المرحلتين كل قواه ، فلم يدخر جهداً فى هدم ما هدم ، ولم يدخر وسعاً فى تأييد ما أيد .

وعملية النفى والإثبات على هذا النحو من التتبع والتقصى ناطقة بأنها المنهج الصحيح للإبانة عن مذهب المؤلف ورأيه الشخصى .

* * *

وفى كتاب « رسالة أضحوية فى أمر المعاد » هذا ، نجد ما حكى الغزالى عن ابن سينا من أدلة إنكار البعث الجسمانى ؛ وعند ذاك نجد ما نسد به تلك الثغرة التى كانت شاغرة فى تاريخ الفكر الإسلامى . وكنا قد أبنا فى مقالنا السابق أن لهذه الثغرة جانبين :

أحدهما : يتصل بابن سينا ، أعنى هل قال ما نسبه إليه الغزالى فى كتابه التهافت من أدلة إنكار البعث الجسمانى ، أم لا ؟! ، ضرورة أنه إن كان قائلا بها ، يكون قائلا بإنكار البعث الجسمانى على سبيل القطع ، دون أن يفسح المجال لشك أو تردد . وقد ثبت أنه قائل بها .

وثانيهما : يتصل بالغزالى ، أعنى هل هو ثقة حين يتحدث عن فرق خاصمهم ورد عليهم ، ممن طال العهد بهم بحيث لا يتيسر لنا الرجوع إلى مصادرهم الأصلية ؟! أم هو فى موضوع الشك والاتهام ؟! ، وقد ثبت أنه ثقة خصوصاً فى تلك المسألة التى أجرينا امتحانه فيها .

وبعد فلعلنا أيها القارىء الكريم قد شوقناك إلى كتاب « رسالة أضحوية فى أمر المعاد » ، وما راء كمن سمع ، وقريباً إن شاء الله يكون فى يدك ، فلقد تفضل مشكوراً الأستاذ البحاثة مدير المعهد الفرنسى باستحضار صور لجميع مخطوطاته الموجودة فى مكتبات العالم ، ليستعان بها على إخراج نص صحيح ، وقد راجعنا هذه الأصول كلها ، وعلقنا عليها ، وقدمنا الكتاب للطابع ، وهو الآن بالمعهد ينتظر دوره .

سليمان دنيا
مدرس الفلسفة وعلم العقيدة
بكلية أصول الدين

الأدب والفن في أسبوع

حول الأنشودة الناعمة :

تلقيت من الأستاذ عباس السيد أبو النجا المحامى بدكرنس ، كتاباً يدافع فيه عن عبد الوهاب وتلحينه لأنشودة فلسطين ، وهو بعد التحية :

« قرأت ما كتبتموه عن اللحن الرائع الذى وضعه موسيقار الشرق عبد الوهاب للأنشودة القوية التى نظمها الأستاذ الشاعر على محمود طه عن فلسطين . ولست أتفق معكم فى رأيكم ، فإن القراءة الهادئة للقصيدة وتفهم مراميها ومعانيها فهم أناة وروية ، ثم تنغيمها بعد ذلك التفهم من أى إنسان أوتى حظاً من رقة الحس ، ودقة الأذن ، ورهافة الوجدان لا يمكن أن يأتى إلا على هذا الغرار ، وفى هذا القالب الشجى من الإيقاع والتلحين .

فالقصيدة تخاطب كل عربى فى أرض العروبة ، تحثه على الانتقاض على ظلم اليهود ، ونبذ سياسة الصبر ، وتجريد الحسام دفاعاً عن الأرض المقدسة ، تخاطب القصيدة فى كل ذلك خطاباً تريد أن تصل به إلى عقله وقلبه حتى ينفض عن التمسك بالأناة ، ومجاراة أمم العالم فى سياسة السلام .

فليست القصيدة إذاً خطاباً إلى جيش يخوض المعامع فهى تستزيد حماسته ، وتلهب حميته ، وإنما هى خطاب إلى المسالمين يستنفرهم إلى اطراح السلام ، ونداء إلى الوادعين يستنهض هممهم — بعد أن يبين لهم — ويستثير — عن إقناع — عزماتهم إلى دفع الخطر المحدق بهم ، دون تلبث أو انتظار .

وبعد : ألستم معى فى أن هذا اللحن ليس مائعاً ، وإنما هو لحن رائع اقتضاه مبنى القصيدة كما استلزمه معناها ؟

ثم ألستم معى فى أن عبد الوهاب لا ينبغى له أن يأخذ « أجازة » فى هذا الظرف العصيب ... بل إن على الشعراء والناظمين أن يقدموا له من نتاج القرائح ما يقتضى اللحن العاصف والنغم الثائر ، والإيقاع المثير ، وعندئذ ينطلق صوت عبد الوهاب عاصفاً ، ثائراً ، مثيراً » .

حقاً إن القصيدة تخاطب كل عربى فى أرض العروبة ، تحثه على نبذ سياسة الصبر وتجريد الحسام إلى آخر ما قال الأستاذ وأضيف إلى ذلك أن القصيدة نفسها قوية فى غير جلبة ولا ضوضاء ، وهى من قبيل ما أدعو إليه من التأليف الذى يؤدى الحماس فى هدوء ، خالياً من الطنطنة والمبالغات . ولكن هل أدى التلحين والغناء ما فى القصيدة من القوة والحماس ؟ أو هل هما يسيران معه فى هذا السبيل ؟ هذه هى المسألة أو القضية التى يريد الأستاذ المحامى أن يكسبها . . ويلح فى ذلك بسؤاله إياى أن أكون معه فى أن اللحن رائع اقتضاه مبنى القصيدة كما استلزمه معناها . . ويؤسفنى ألا أكون معه فى ذلك .

وحقاً إن القصيدة خطاب إلى المسالمين لاطراح السلام ، ونداء إلى الوادعين لاستنهاض هممهم ، واللحن والغناء كذلك خطاب المسالمين والوادعين . . ولكن ليظلوا ناعمين وادعين . . لحن جميل ، وموسيقى حلوة ، وغناء رقيق عذب ، تتسلل إلى الأذن فى طرب يسلم إلى السكون ويبعث إلى وادى الأحلام .

إنه حين يغنى :

أخى قم إليها نشق الغمار   دماً قانياً ولظى مرعدا

يحيل الدم إلى (شربات) ويجعل اللظى برداً وسلاماً !

وهو حينما يغنى :

فلسطين يفدى حماك الشباب   وجل الفدائى والمفتدى

يذرو هباء ما فيه من المفاداة وحماية الحمى ، ويضيع الشباب مع من ضيع فى الأوهام عمره ...

إن عبد الوهاب فنان عظيم ما فى ذلك من شك ، ولكن مجال فنه إنما هو العواطف الرقيقة الناعمة ، وهو يبدع فيه لأنه يصدر عن طبع أصيل ، فيستطيع أن ينقل إحساسه فى أنغامه إلى القلوب فيطربها ويأسرها ، ويشركها معه فى الشدو والترديد أما العواطف الحماسية ، فليست فى طبعه الفنى ، وهو إلى الآن لم يأت فى هذا الباب بشىء على وفرة إنتاجه فى عالم الغناء والموسيقى

وأنا لا أدعوه إلى مخالفة طبعه بالتلحين الحماسى ، لأنه يكون إذن متكلفاً ، والتكلف يفسد الفنون . ولو أنه تلقى من نتاج القرائح ما يقتضى اللحن العاصف والنغم الثائر ، كما يرى الأستاذ أبو النجا أن يفعل الشعراء والناظمون ، لما انطلق عاصفاً

ثائراً مثيراً إلا إذا جاوز الفن إلى التهريج .

وإني لأرى أن أم كلثوم أقدر من عبد الوهاب على التعبير الحماسي ، ويبدو هـذا في غنائها قصيدة « سلوا قلبي » فقـد استطاعت أن تجعل الجمهور يغلي ويفور في بعض مواضع هـذه القصيدة .

وأذكر أن عبد الوهاب كان يدافع عن نفسه ، حين وجه إليه اللوم لعدم المشاركة في الأغاني الحماسية ، بأن الشعب يردد أغانيه ذات الطابع العاطفي الرقيق ، ولا يسمع من أحد صدى لما لحنه هو أو غيره من أناشيد . وهذا يؤيد ما قلته ، لأنه يصدر في النوع الأول عن طبعه فينتج إنتاجا حيا ، أما الأناشيد المتكلفة فهي تموت على أثر إلقائها . ومن الخطأ البين ما كان يقال من أن الشعب المصري ميال بطبعه إلى اللهو فهو لا يقبل على إنشاد جدي فهذا هو الشعب كما نراه اليوم يسبق الفنون في حماسه وقوته ، وهي تحاول أن تلحق به . .

ويماثل عبد الوهاب في الغناء والموسيقى ، أحمد رامي في النظم والتأليف فهو يسجل خفقات القلوب ويتتبع الأطيار على الأشجار ولكنه ظلم نفسه بـ « نشيد الشـــباب » الذي وضعه أخيراً وغنته أم كلثوم ، والذي يبدأ هكذا :

نادى المنادي يا شباب لبوا الندا ردوا العدا عن الوطن .

ثم يمط هكذا :

تضامنوا الشرق يدعوكم إلى طرد العـدا
تعاونوا الله يهـديكم إلى نور الهـدى

ثم يختتم بإرسال الحكمة هكذا :

من عاش منا فاز بالعيش الرغيد .
ومن يمت مجاهداً مات شهيد .

كلام عادي فاتر ، وتهبط الحرارة عن درجة الفتور عند ما يأمر بالتعاون ليهدى الله إلى « نور الهدى » .

وأم كلثوم هي التي تنطلق قوية مثيرة لو قدم لهـا المنظوم القوي النابض بالحياة ، وهي التي تستطيع أن تدك تـل أبيب بـ « وصـلة » واحدة ... ولـكنها لا تغني إلا ما تلقفه من شعر شوق ، وما يوضع لها خائراً واهناً ، وهي تكثر من ترديد أغانيها القديمة ، مثـل أغنية « فضلت أسامح في روحي » التي غنتها في حفـلة بور سعيد التي أقيمت للترفيه عن جنود الجيش ، والتي لم تغن فيها شيئاً جديداً مناسباً للحال الحاضرة . ولست أدري إلى متى نظل تلك المسالمة . ؟

التمهيد لمؤتمر اليونسكو :

كان المقرر أن تجتمع اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، في الاسكندرية يوم ٢١ أغسطس القادم لوضع خطـة مشتركة بين الدول العربية وتوحيد وجهة نظرهـا في الشئون الثقافية التي ستـكون موضع نظر مؤتمر الهيئة الثقافية العالمية (اليونسكو) الذي سينعقد ببنان في أكتوبر القادم .

وقد حدث أخيراً أن أبدت الحكومة اللبنانية رغبتها في أن تنعقد اللجنة الثقافية بلبنان لتكون على مقربة من مركز المؤتمر . وقد أجابت اللجنة إلى هذه الرغبة فتقررت أن يكون اجتماعها هناك .

ومن الموضوعات التي ستنظر فيها اللجنة في هذا الاجتماع ، موضوع نشر الأفلام السينمائية التي ترمي إلى تقوية الروح القومية العربية وشعور التضامن والاتحاد بين العرب ، ومن ذلك المساعدة على إعداد أفلام في البلاد العربية بقصد تعريف بعضها ببعض ، والمساهمة في وضع أفلام ثقافية شعبية ومدرسية في البلاد العربية ، وفي ترجمة نطق الأفلام الثقافية الغربية إلى اللغة العربية .

السينما والدعاية :

تفضـل حضرة صاحب الجلالة الملك بزيارة ميدان القتال بفلسطين في هذا الأسبوع ، وقد سر جلالته بمـا رأى هناك وما وقف عليه من المعلومات والحقائق التي تتعلق بنظام الجيش وخطته في القتال . وقال جلالته في صدد التعبير عن سروره إنه يود لو كان المصريون جميعاً موجودين ليشاهدوا ما شاهد جلالته

قلت في نفسي : ليست هذه الأمنية الملكية الكريمة ببعيدة التحقيق ، ففي الإمكان أن تنقل السينما هـذه المشاهد الرائعة إلى جميع الناس .

وإن مما يؤسف له أنه قد مضى على حرب فلسطين قرابة شهرين تحدثت فيها الصحف وأذاعت الإذاعات عن انتصارات العرب وقصت قصص البطولة العربية فيها ، ووصفت أقـلام المراسلين المعارك وصفا رائعـاً ، ولـكن لم يعرض بإحدى دور

السينما منظر واحد لشيء من ذلك على حين تتراءى إلينا من هوليود أنباء تنمى بنشاط الصهيونيين في الدعاية بوساطة الأفلام لقضيتهم الخاسرة . وقد أمرت وزارة الشئون الاجتماعية بمنع عرض الأفلام التي يظهر فيها ممثلان من هوليود يقومان بالدعاية الصهيونية .

فهل يكفي أن تمنع أفلام الدعاية اليهودية من العرض في مصر ؟ وماذا فعلنا نحن في هذا السبيل ؟ ماذا فعلنا لنقل مشاهد المجد العربي على الشاشة البيضاء ؟ وأين السينمائيون المصريون ؟ أما شبعوا من عرض المباذل والخيانات الزوجية ؟ وإذا كانت وسائلهم قاصرة فأين وزارة الشئون الاجتماعية التي تحرص على الإشراف على الشئون الفنية ؟

إن هذا الموضوع لجدير بنظر اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، لأنه يحقق الأهداف التي ترمي إليها من نشر الأفلام السينمائية بالبلاد العربية ، بل يجب أن يبدأ به ويوجه إليه كل الاهتمام ، فينفق في إنجازه كل المال المعد لنشر الأفلام السينمائية المتقدمة .

مصر تطل على العالم :

تناول الأستاذ محمد رفعت في حديثه «مصر تطل على العالم» بالمذياع يوم الأحد الماضي موقف مجلس الأمن من قضية فلسطين ، فقال إن هذا المجلس الذي يرغي ويزبد الآن لأن الأمم العربية لم تقبل مد الهدنة ، هو الذي يغضي عن تصرفات الأمم الكبيرة المخالفة لميثاق هيئة الأمم المتحدة ، في حين أن الدول العربية لم تخرج عن هذا الميثاق لأنها تدافع عن كيانها وتعمل لاستتباب الأمن في جزء منها طبقاً للمادة الثانية والخمسين من الميثاق .

وقال الأستاذ إن الأمم الكبيرة شكلت هيئة الأمم المتحدة لتنهي آثار الحرب وتحل المشكلات العالمية ، ولكنها إلى الآن لم تستطع أن تعقد الصلح مع ألمانيا والنمسا واليابان بل لم تستطع أن تحل المستعمرات الإيطالية ، مع أن هذا لا يحتاج إلى مفاوضات مع الأعداء بل يفرض عليهم فرضاً ، وذلك للخلافات بين الأمم الكبيرة الناشيء عن مطامعها الاستعمارية . وفي الوقت الذي تعجز فيه الهيئة ومجلس أمنها عن كل ذلك ، تريد أن تجعل من هذا المجلس أداة تخويف وإنذار للدول الصغيرة والمتوسطة ، فترى أعضاء فيه من أولياء الصهيونية يهددون العرب بالقوة ويلوحون بالعقوبات ، ولكن هذا المجلس المهيض الجناحين لن يستطيع الطيران وإذا هو حاول فسيسقط سقطة لا قيام له منها ، لأن العرب أصروا على تخليص فلسطين من الصهيونية مهما كلفهم ذلك .

مواكب رمضان :

أذاعت الإذاعة المصرية في أول يوم من شهر رمضان برنامج « مواكب رمضان » من تأليف الأستاذ طاهر أبو فاشا وإخراج الأستاذ محمد محمود شعبان ، ومعظم هذا البرنامج أغنيات رمضانية تمثل ألواناً من أغاني الشعب في رمضان ، يتخلل هذه الأغنيات حوار قليل يقصد منه الانتقال من جو أغنية إلى أخرى ، ولكنه جاء مع ذلك مسبوكا محبوكا .

ولدى الإذاعة برامج خاصة برمضان كثيرة ، نفضت عنها الغبار ، وشرعت تقدمها في فترات مختلفة إلى جانب هذا البرنامج الجديد ، فبدا الفرق واضحاً بينه وبينها ، فأغنيات « مواكب رمضان » تمتاز بالجمال الفني وتقوم على المعاني الرفيعة ، لأن المؤلف لم يعمد إلى الأذكار و (وحوى) وغير ذلك لينقله كما هو بل هو يضفي من نفسه على الصور الشعبية ما يرضي الذوق الخاص إلى الإمتاع العام ، فبدل أن تسمع في أحد تلك البرامج «حتن علينا يا كريم حن علينا» تسمع في مواكب رمضان « هل الهلال وبان » وقد برع الملحن في هذه الأغنية وأداها « الكورس » أحسن أداء .

من طرف المجالس :

كان من شجون الحديث في هذه الجلسة ، كتابات بعض كبار الكتاب في هذه الأيام ، من حيث إسفافهم وعدم عنايتهم بالتجويد كسابق عهدهم ، فحكى الأستاذ كامل كيلاني الطرفة الرمزية الآتية :

كان أحد العمد بالقاهرة ، فذهب إلى دكان للحلاقة ، ولم يعبأ الحلاق به لمظهره القروي ، فحلق له دون عناية . ونهض العمدة وأعطى الحلاق جنيها وخرج لسبيله .

وبعد أيام عاد العمدة إلى الدكان ، فاستقبله الحلاق أحسن استقبال ، واجتهد أن يعوض تقصيره في المرة السابقة ، فبذل له غاية العناية . ونهض العمدة وأعطى الحلاق مليما . . فدهش الحلاق وبسط يده بالمليم متسائلا ، فقال له العمدة . هذا المليم للحلاقة الماضية ، وذلك الجنيه لهذه الحلاقة .

العباس



نموذج جديد من قصص قومي :

إدريـــــس

(قصة مغربية بالفرنسية — للأستاذ على الحمامى)

للأستاذ محمود تيمور بك

ثلاثة عناصر ، متى توافرت لعمل فنى مكنت له ، وأبلغته ذروة الإجادة ، فأسلست له أهواء النفوس ...

تلك العناصر التى أعنيها ، هى :

قوة الإحساس ، وصدق التعبير ، وموهبة الأداء ...

وقد اتسقت ثلاثتها فى هذه القصة التى ألفها الأستاذ « على الحمامى » فى اللغة الفرنسية ، وسماها : « إدريس » ، وصور بها الحياة المغربية وما يضطرم فيها من آلام وآمال ...

فى تلك القصة تنبسط صحف من التاريخ ، وتنصقل مرآة للحاضر ، وتتجلى أحوال سياسية واجتماعية قائمة ، وتترسل روح من الوطنية تثير الأفئدة وتهز المشاعر . فالكتاب بفضل ما حواه من ذلك كله — يعد نموذجاً من القصص القوى ، جديراً بالتقدير والإعجاب ...

ومما هو مسلم به عند البصراء من نقاد الأدب أن الفن لا يجود ولا يؤتى جناه إلا إن ترك له حرية التحليق والانطلاق ، لا نزعة تملى عليه ، ولا مبدأ يتحكم فيه . ومن ثم كانت القصص التاريخية والسياسية والوطنية فى المقام الثانى من القصص الفنى ، لأن كتابها مقيدة أقلامهم بما حدد لهم من أغراض ، وما عين لهم من أهداف .

ولكن الأديب « الحمامى » فى قصته القومية ، ينجو من تبعة هذا النقد ، ويسمو على تلك الملاحظة ، وذلك لأنه لم يخضع قلمه لمنحًى مسوق إليه ، ولم يرد فنه على غرض دخيل عليه . وإنما أحس فى قوة ، وعبر فى صدق ، وأدى قادراً على الأداء .

لقد عايش المؤلف أمته ، وشهد ما تمانيه من كوارث ، وما يعوق خطاها من أغلال ، وشعر بما يعتلج بين حناياها من منازع الحرية والعزة ، وكان لذلك أثر فى نفسه لم يلبث أن دفعه إلى التعبير ، فجرى قلمه طلقاً يصور حياة قومه ، ويكشف عن آلامها وخوالج نفسها فى إيحاء فنى قويم .

وأنت تساير « إدريس » بطل هذه القصة ، وهو يروى لك أحداث حياته ، وما تعاقب عليها من أحوال ، فإذا بك — وأنت مسترسل معه — تطالع الحياة المغربية فى عصرها العتيد ، فترى كيف صنعت سياسة الاستعمار بذلك الوطن المغلوب على أمره ، وتعلم كيف يسام الخسف والعسف فى جحيم تلك السياسة المشئوم ، وكيف تتوق نفسه إلى عيش الحرية والكرامة ، فهو يكافح ويجاهد ما وسعه الكفاح والجهاد .

فقارىء هذه القصة لا يملك سكينته إزاء ما يمر به من صور تفصح له عن نفسية شعب أبى يتنزى فى الحديد والنار ؛ وتشعره بما يكمن فى سريرة ذلك الشعب من فتوة وحمية ، وما يغلى فى عروقه من دماء أسلافه الذين كانوا فى طليعة بناة الحضارة وسادة الأمم .

والقصة فى جملتها مزاج طريف من التاريخ والسياسة والوطنية والاجتماع ، أو طاقة مزهرة تجمع تلك الأفانين المختلفة ؛ وبراعة الكاتب تتجلى فى تأليف هذا المزاج ، وتنسيق تلك الطاقة . فهيهات أن يلمح القارىء فى أطواء القصة حديثاً لا يستدعيه الموقف ، أو موقفاً ينبو عن السياق ، أو إغراقاً فى وصف وتصوير تتجافى به القصة عن سبيل التأثير والإقناع .

ما أكثر ما كتب الغربيون عن الأمم الشرقية والإسلامية بلغات الغرب ، ولكن ما كتبوه لا يصور نفسية هذه الأمم وعقليتها حق تصورها ، ولا يستوفى حقائقها كما هى عليه ، وذلك لأن أولئك الكتاب إما أن تحدوهم نيَّة سيئة ونزعة مغرضة ، وإما أن يقعد بهم عجز عن التحقيق وصدق التصور .

وإذن فقد أحسن صاحب « إدريس » صنعا ، إذ كتب قصته بلغة غربية ، سداً لذلك النقص ، وإطلاعاً لقراء الغرب على حقائق أمة إسلامية فتية تنشد سلامة وكرامة .

وما أجله توفيقاً أن تكون تلك اللغة الغربية التى كتبت بها القصة هى اللغة الفرنسية .. فالقصة ليست إلا صفحة من اضطهاد المستعمر الفرنسىّ . فمن الخير أن يقرأها الفرنسيون بلغتهم ، دانية المنال ، حتى يتبين لهم : كيف يؤدون فى بلاد المغرب رسالة الحرية والسلام !

محمود تيمور



اليوميـــــات

قصة للكاتب الألمانى أرتر شنتزلر

بقلم الأديب محمد فتحى عبد الوهاب

كنت عائدا إلى منزلى ليلة أمس عند ماجلست فترة من الوقت على مقعد بحديقة المدينة ، فلاحظت فجأة سيداً جالساً على الطرف الآخر من المقعد لم أشعر بوجوده من قبل . وأثار ظهوره الفجائى دهشتى وشكوكى لأنه لم يكن فى حاجـة إلى الجلوس على نفس مقعدى ، لخلو المقاعد الأخرى من رواد الحديقة فى ذلك الوقت المتأخر من الليل .

وهممت بالرحيل عند ما خاطبنى ذلك الغريب . كان يرتدى معطفاً رمادياً طويلاً وزوجاً من القفازات أصفر اللون . ونادانى باسمى بعد أن رفع قبعته يحيينى . وعندئذ أدركت فى دهشة من هو . إنه الدكتور جوتفريد فيفالد ، ذلك الشاب المهدب ذو المقام الممتاز . وكان قد نقل منذ أربع سنوات من الخدمة المدنية فى (ڤينا) إلى ضاحية بالنمسا . لذلك لم أر موجباً للتعبير عن دهشتى من رؤيتى إياه فى ذلك الظرف من الزمان والمكان ، على الرغم من أنى لم أكن قد شاهدته منذ عيد الميلاد الأخير .

ورددت تحيته بابتسامة فاترة ، ثم هممت أسأله عن سبب جلوسه هنا عند ما قال لى فجأة وهو يبدى بيده حركة اعتذارية .

— أرجو المعذرة ياسيدى العزيز ، ولكن وقتى محدود . ما أتيت إلى هنا إلا لكى أسرد عليك قصة غريبة . ذلك إذا لم يكن لديك مانع من الاستماع إلى .

فسارعت إلى التصريح باستعدادى لسماع ما سيقوله وأنا فى دهشة مما تفوه به . ولم أتمالك من سؤاله لماذا لم يقابلنى بالمقهى ، وكيف استطاع أن يجدنى هنا ، ولماذا وقع اختياره على بالذات لأستمع إلى قصته ؟

فأجاب فى صوت أجش غير عادى — أما عن السؤالين الأولين فسأجيب عليهما أثناء سردى القصة ، وأما اختيارى لك ياسيدى العزيز (ولم يلقبنى بأى لقب خـلاف ذلك) فهو لأنى أعرف فيك الكاتب الأديب الذى أستطيع الاعتماد عليه فى نشر قصتى العجيبة بالطريقة التى تلائمه .

وبدون أن ينتظر تعليق على ما فاه به ، أنشأ يقص قصته دون تمهيد ، قال :

تدعى بطلة قصتى رد يجوندا . وكانت زوجة البارون ت . الكابتن فى فرقة س . ، إحدى فرق (الدراغون) ، وكان مقرها بلدتنا الصغيرة . (ولم يذكر فى الواقع من الأسماء سوى الأحرف الأولى ومع ذلك عرفت البلدة واسم الضابط الفارس ورقم فرقته).

واستمر الدكتور فيفالد يقول « كانت رديجوندا ذات جمال باهر ، وقعت فى حبها من النظرة الأولى — كما يقول الناس — ولسوء الحظ لم تسنح لى الفرصة التى تتيح لى التعرف بها ، فضباط الفرقـة وعائلاتهم قليلو التعارف بالمدنيين ، ولذلك كنت أقنع بالنظر إليها عن بعد ، أراها وحيدة أو بجانب زوجها أو بصحبة الضـابط الآخرين وزوجاتهم وهم يسيرون فى شوارع البلدة .

وكنت أحياناً أحظى برؤيتها تطل من إحدى نوافذ دارها ، أو ألمحها داخل عربة تتأرجح بها قاصدة إلى المسرح الصغير فى المساء وهناك أشاهدها جالسة فى مقصورة من مقعدى بأعلى المسرح ، فيخيل إلى أنها تعطف على فترمينى بنظرة عابرة لا أجرؤ أن أستنتج منها ما يشف عن الغزل أو التعارف . وبدأت أيأس من استطاعتى وضع قلبى تحت قدميها عند ما قابلتها فجأة وعلى غير انتظار فى صباح يوم من أيام الربيع الجميلة بالحديقة الصغيرة الممتدة من باب البلدة الشرقى إلى الريف . مرت أمامى وعلى شفتيها شبه ابتسامة دون أن تلحظ وجـودى . وسرعان ما اختفت بين الأشجار دون أن يمر على خاطرى أن أحييها أو أتحدث إليها . ولا أدرى لماذا لم أشعر بالأسف بعد ما توارت عن أنظارى فى أنى لم أقم بمثل هذه المحاولة ، ولكن كل ما أدريه أنه حدث لى شىء غريب . لقد شعرت بنفسى فجأة أندفع وراء الخيـال وأتصور ما الذى يحدث إذا ما كنت قد تمالكت شجاعتى، وافترضت

طريقها أخاطبها . وجمـل خيالى يصور لى كيف أنها لم تخف سرورها بجرأتى هذه ، وكيف طفقت تحدثنى وتشكو وحدتها وحاجتها إلى من تبثه لواعج نفسها وقلبها ، وكيف شعرت بالبهجة عند ما وجدت فى ذلك الرفيق الذى تنشده . وكانت نظرتها إلى عند ما ودعتها نظرة تحوى كل معانى الود والتفاهم حتى لخلت — على الرغم من يقينى بأن كل هذا كان مجرد خيال — بأنى عند ما أراها مرة ثانية بمقصورتها بالمسرح فى المساء سأشعر بأن فى صدرى كنزاً مدخراً من العواطف لا يشاركنى فيه أحد سواها .

لعلك لا تعجب ياسيدى العزيز إذا ما قلت لك بأنى وجدت نفسى منساقا وراء ذلك الخيال الذى لا أدرى كيف بمث ، ولعل منشأه قـوة خفية فى نفسى لا أدرى كنهها . فسرعان ما أعقبت أولى مقابلاتنا مقابلات غيرها ، وازداد شغفى برد يجوندا ، حتى أقبل اليوم الذى وجدتها بين ذراعى وتقدم بى خيالى ، وابتدأت تزورنى فى شقتى الصغيرة بأقاصى البلدة ، وعندئذ تذوقت كل أنواع البهجة التى لم أتذوقها فى حياتى الواقعية والتى لا أعرف طعمها إلا فى خيالى الرائع .

وأقبل علينا الخريف عند ما علمت أن فرقة (الدراغون) الذى ينتمى إليها زوجها قد أمرت بالرحيل إلى جاليشيا . فشعرت باليأس القاتل يملأ نفسى — بل يملأ نفسينا — ولم نترك شيئاً مما يقوله العشاق فى مثل هذه المناسبة إلا تحدثنا عنه . تكلمنا عن الهرب معاً ، والموت معاً ، وعذاب الخضوع لحكم القدر . وأقبلت الليلة الأخيرة ولما نصل إلى قرار بعد . وانتظرت رديجوندا فى غرفتى المزدانة بالزهور وكنت قـد حزمت أمتعتى وحشوت مسدسى وكتبت رسائل الوداع استعداداً لما قد يحدث . كل هذا ياسيدى العزيز كان حقيقة نتجت عن خيال غريب . إن وقوعى التام تحت سحر ذلك الخيال جعلنى أعتقد تمـام الاعتقاد توقع ظهور محبوبتى أمامى فى آخر أمسية قبل أن ترحل الفرقة . كنت أشعر بقوة خفية لم أحسب لها حساباً تدفعنى إلى البقاء بالدار . وكنت أتوجه مئات المرات إلى الباب الخارجى فأنصت علنى أسمع وقع خطواتها ، ثم أنظر خلال النافذة آملا أن أراها مقبلة نحوى . ثم شعرت بالقلق واليأس يتنابان نفسى حتى أوشكت على الاندفاع خارجاً ، لأبحث عن رديجوندا وأختطفها من زوجها مطالباً بحق فى الاستحواذ عليها ، حق حبنا المتبادل .

وأخيراً تهالكت على مقعدى وأنا أرتجف رجفة من أصابته بالحمى . وفجأة — قرب منتصف الليل دق الجرس الخـارجى ، فشعرت حينئذ بأن قلبى يكاد يكف عن الخفقان . إن دق الجرس — كما تعلم — لم يكن وليد الخيال . واستمعت إلى صوته وأنا مذهـول ، وشعرت برنينه يطرق أذنى ، فأيقظ فى الإحساس الكامل بالحقيقة . كنت أدرك أنه حتى هذا المساء لم تكن مغامراتى سوى سلسلة من الأحلام العجيبة ؛ ولكننى شعرت عند ما سمعت ذلك الرنين بأمل جرىء يستيقظ فى ذات نفسى ، ذلك الأمل فى أن رديجوندا وقد أثر فى أعماق قلبها تلك القوى الخفية التى أحيت خيالى ، واستجابت إلى دعوتى بقوة رغبتى فيها ، سوف أراها واقفة أمامى بلحمها ودمها على عتبة دارى ، وأنه فى اللحظة القادمة سأتناولها حتى بين ذراعى .

وذهبت إلى الباب وفتحته ، ولـكن … لم تكن رديجوندا هى الواقفة أمامى ، بل كان … زوجها ! كل ذلك كان حقيقة كحقيقة وجودك بجانبى على هذا المقعد .

وقف الضابط لحظة يتأمل وجهى ، ووقفت أمامه مذهولاً ، ثم دعوته إلى الدخـول والجلوس . ولـكنه ظل واقفاً وقال فى ازدراء أنت تتوقع قدوم رديجوندا . من سوء الحظ أنها لا تستطيع الحضور . لقد ماتت ! فرددت قائلا : ماتت !

وخيل إلى حينئذ أن العالم قد توقف عن الحركة .

وطفق ضابط (الدراغون) يقول فى هدوء — لقد وجدتها منذ ساعة بمكتبها وأمامها هذا الـكتاب ، وها أنذا قد أحضرته ليسهل علينا وضع الأمور فى نصابها . لقد قتلها الرعب على ما أعتقد عند ما دخلت عليها فى حجرتها بغتة . هذا هو آخر ما سطرته . اقرأه من فضلك .

وناولنى كتاباً مفتوحاً مغلفاً بجلد بنفسجى اللون ، فقرأت الـكلمات الآتية « … والآن سـأترك منزلى إلى الأبد . إن حبيبى فى انتظارى »

وأطرقت إطراقة من يدرك ما الذى تعنيه هذه الـكلمات .

واستمر الضابط يقول — لا شك أنك أدركت أن ما تحمله فى يدك هو يوميات زوجتى . من الأصوب أن تلقى عليها بنظرة ،

حتى تدرك أنه لا يجديك الإنكار .

وقلبت الصفحات وطفقت أقرأ وأقرأ حوالى الساعة ، وأنا مرتكن على مكتبى وهو جالس على المقعد دون حراك . قرأت قصة حبنا كاملة ؛ تلك القصة الغريبة بكافة تفاصيلها منذ التقائى بها فى ذلك الصباح من يوم الربيع ، وتحدثى إليها فى الحديقة . ثم قرأت عن أولى قبلاتنا ، وسيرنا معاً ، وذهابنا إلى الريف ، وساعات نشوتنا فى غرفتى المزدانة بالزهور ، وخططنا التى وضمناها للهرب أو الموت ، وسعادتنا وبأسنا . كان كل ذلك مسطراً فى هذه الصفحات ؛ هذا الذى لم يكن فيه مسحة من الواقع ولكنه كل ما اتفق لى وقوعه فى الخيال ، وشعرت بعجزى عن تفسير أمر هذه اليوميات . ولكن تباج فى نفسى ضوء من الحقيقة هو أن رديجوندا قد أحبتنى كما أحببتها ، وأنها قد حصلت على تلك القوة الغامضة فنحتها موهبة الخيال وبذلك شاركتنى كل حوادث مغامراتى تلك .

ثم ظهر لى شيء آخر . . إن هذه اليوميات لم تكن سوى وسيلة للانتقام منى بسبب ترددى الذى منع أحلامى — أحلامنا — من جعلها حقيقة واقعة ، وحتى موتها الفجائى كان من صنع إرادتها ، بل كان فى نيتها أن تضع هذه اليوميات فى يد زوجها بهذه الطريقة ، ولم يكن لدى من الوقت ما أستطيع فيه أن أستعرض كل هذه المعضلات وأحاول تفسيرها ، ولكن وجود زوجها هنا كان إحدى التفسيرات ، بل التفسير الطبيعى لكل ما حدث ، ولذلك عملت بما تتطلبه الظروف ، ووضعت نفسى تحت تصرف الضابط فى كلمات تناسب الموقف » .

فصحت قائلاً — دون أن تحاول .

فقاطعنى الدكتور فيفالد فى خشونة قائلا — حتى لو كان هناك أدنى نوع من النجاح لمثل هذه المحاولة فإنها لتظهر لى شيئاً مشيناً . إنى أشعر فى نفسى بأنى مسؤول عن كل هذه النتائج التى أوجدتها مغامراتى الخيالية هذه — تلك المغامرة التى كنت جباناً لأنى لم أحققها .

« وقال الكابتن — إنى أحب أن أضع الأمور فى نصابها قبل أن يعلم الناس عن موت رديجوندا إننا الآن فى الساعة الأولى صباحاً . ففى الساعة الثالثة سيتقابل شهودنا . وفى الخامسة سنسوى أمورنا .

وأومأت بالايجاب فى برود ، ثم غادرنى : ورتبت أوراقى ، ثم تركت الدار أبحث عن صديقين فوجدتهما فى فراشيهما ، وأطلعتهما على الشيء الضرورى حتى يدركا المهمة الملقاة على عاتقهما ثم جملت أذرع الطريق أمام نوافذ دارها ، دار رديجوندا المسجاة الآن على فراش الموت ، وتملكنى حينئذ شعور اليقين بأنى أسير نحو نهاية مصيرى المحتوم .

وفى الساعة الخامسة صباحاً واجهت الكابتن وواجهنى والمسدس فى يد كل منا فى الحديقة الصغيرة بالقرب من المكان الذى خاطبت فيه رديجوندا المرة الأولى .

فقلت — وهل قتلته ؟

قال — لا .. إن رصاصتى مست صدغه ، ولكنه أصابنى فى قلبى ، وسقطت ميتاً فى التو واللحظة كما يقولون .

فالتفت إلى جارى المجيب وكلى دهشة واستغراب ، فإذا به قد اختفى من ركن المقعد فذهلت ... وأخيراً سألت نفسى ألا يجوز أنه لم يكن موجوداً على الاطلاق ، وأن كل ما حدث لم يكن إلا وليد خيالى ؟ ولكنى تذكرت أنى سمعت بمضهم كان يتحدث بالمقهى فى الليلة السابقة عن مبارزة سقط فيها الدكتور فيفالد ميتاً وعن اختفاء السيدة رديجوندا فى نفس اليوم ، والاعتقاد أنها هربت مع ملازم شاب من الفرقة دون أن تترك وراءها أثراً .

وتوالت على الأفكار والأسئلة . أكان ما حدث وما سمعته حقيقة واقعة ؟ ولكنى تراجعت أمام التفكير الذى يخالف المنطق . فقد أجشم نفسى مشقة تأييد نظريات لا قبل لى على تصورها ، كالتصوف وعلم الروح .

إنه لا يمكنى إثبات حقيقة مثل هذه القصة ، إذ تنقصنى الأدلة المادية على صحتها . ووجدت لو أنى اعترفت بها لواجهت مشكلات لا تعد ولا تحصى ، ولاعتقد الناس أنى إما ساحر أو دجال . ومن ثم قررت فى النهاية أن أقص تلك الزيارة الليلية كما حدثت دون تعليق عليها ، وأنا واثق من اعتراض الكثيرين على صحتها ، فإن شعور الثقة عند الناس عن الكتاب وما يكتبونه أقل بكثير من شعورهم نحو غيرهم .

(الاسكندرية) محمد فتحى عبد الوهاب